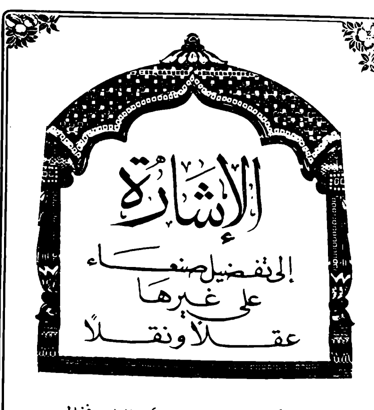

الدراري المنسوقات في بواهر المخلوقات
الإشارة
إلى تفضيل صنعاء
على غيرها
عقلاً ونقلاً
للعلامة الهمام الكبير الفاضل الشهير جامع العلوم فخر الدين
عبد الله بن يحيى شرف الدين المتوفى سنة
٩٧٣ هـ
تحقيق
عبد الله محمد الحبشي



للعلامة الهمام الكبير الفاضل الشهير جامع العلوم فخر الدين
عبدالله بن يحيى شرف الدين المتوفى سنة
٩٧٣ هـ

تحقيق
عبدالله محمد الحبشي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم :

ظهر في القرن العاشر الهجري جدال كبير بين أدباء اليمن حول المفاخرة بالبلدان والتعصب لها وإن كنا رأينا بذور هذه الجدال تظهر عند أدباء العصر الرسولي في القرن التاسع الهجري حيث ذكروا أن الأدباء كانوا يجتمعون ويتقسمون فيما بينهم في التعصب للجبال والتهائم ، وكان الأديب الشاعر عبد الله بن جعفر المتوفى سنة ٧١٤ : يقول في تفضيل الجبال وحبه لها:

قالوا الجبال بها ضيق فقلت لهم (سم الخياط مع الأحباب ميدان)

وكان الأديب عثمان بن عمر الناشري المتوفى سنة ٨٤٨ ممن يخالف مذهب عبد الله بن جعفر في تفضيل ما فضله يقول :

تذكرت في نفسي فلم أر نزلة كنزلة من باع التهائم بالجبل

وأصبح عن ربع الأحبة نازحا يسائل عن هذا وعن ذاك ما فعل

والأديب الفقيه اسماعيل ابى بكر المقرى المتوفى سنة ٨٣٧ هو رائد المفاضلة للأدباء في استطلاعه بين التهائم والجبال يقول من منظومة :

[illegible] على الساحل [illegible]

[illegible] جليلة [illegible]

فيها يتوكل الإنسان [illegible]

وإن لم توصه [illegible]

[illegible]

يبيت وجسمه للبق مرعى

وللحشرات من دمة ورود

اذا ماجن فيها الليل امست

يمزق في نواحيها الجلود

وبرد يرقص الانسان منه

بلا طرب ويرتعد الجليد

وأمثال هذا كثير وقد ذكر المؤرخ الخزرجي في حوادث سنة ٧٩٦ انه (حضر جماعة من العلماء مجلس الملك الأشرف الرسول وكان الحاضرون في مجلسه الشريف في شهر رمضان يتنازعون في تفضيل الرطب على العنب وكان القائل بتفضيل الرطب على العنب فقهاء تهامة وأمراؤها وكان القائلون بتفضيل العنب على الرطب فقهاء الجبال وأمراؤها وقد أسند أهل الجبال أمرهم الى الفقيه صفي الدين احمد بن موسى التعزى وكان فقيهاء عارفاً مدققاً بحاثا محججاً وأسند أهل تهامة أمرهم الى الفقيه الشرف اسماعيل بن أبي بكر المقرى وكان يتوقد ذكاء وكان حاضر هذه الواقعة القاضي عبدالله الناشري وكان اكمل اهل زمانه .

فهذا النص دل على قدم المناظرة بين الأدباء في تفضيل الجبال والتهائم وبعض خصائصها وقد تجلى هذا واضحاً في النزاع الكبير الذي جرى بين الأدباء حول العنب والتمر ، وكان من أبرز نصوصه ما أورده المؤرخ محمد بن محمد زبارة في نشر العرف للأديبين زيد بن علي المؤيدى رئيس كتبة بندر المخا في النصف الثاني من القرن الثاني عشر يقول عنه زبارة هو فاتح باب المفاضلة فيما بين العنب والنخيل،

وبين الاديب الفقيه عبد الله بن عمر خليل الزبيدي ومن انضاف معهما : وقد جرهما التعصب للنخل والعنب الى المفاخرة للجبال والتهائم كما نجد عند الاديب زيد بن علي المؤيد السابق الذكر يقول في مدح صنعاء وهي من بلدان الجبال » .

صنعاء لا ارتضى عن اهلها بدلاً

لكرم بهاوبسكان بها كرموا

قالوا اهتمام لمن قد حل ساحتها

لاهم يعلم الا انها همم

لم انس طيبا لاوقاتى بساحتها

والصحب باقية والبرق مبتسم

والزهر يضحك في اكمامه جذلا

والورد فيه تراءى وهو ملتثم

كانما النهر تحت الورد مخترقا

سيف على متنه للناظرين دم

والطير في الروض بالالحان ساجعة

كانما من معانى حسنها نعم

والريح في سحر تهدى شمائله

طيبا يكاد لديه المسك ينكتم

ليس بالرغم يبلى ضرعه الفطم

ولست أبرح عن مدحي لها ...

فإنها جنان في الدنيا علم

ولا تزال توافيكم قصائدنا

حتى تفينوا وحتى يحصل السلم

من كل مبرقة تصمى صواعقها

يجتاح ما يلتقي سيلها العرم

فيجيبه منتصراً للتهامي الاديب أبو بكر بن معيبد الزبيدي :

لله ليامى التي نعمت بها

بروضة اخصبت غيضانها

تلك المنازل لا شرقي أزال ولا

غربيها فهي دار عمها نقم

قالوا بها الهم قد أرخى جوانبه

وكاد منه جدار الصبر ينهدم

وذاك ان بها بنر معطلة

وروضة يعترى سكانها سأم

ومن حزبه الاديب عبد الله بن [illegible] في قصيدة طويلة أوردها مع سابقتها المؤرخ زبارة في نشر العرف ج اص ٦٦٢ - ٦٧٣ . ومازال الجدال يستطير بينهما حتى توسط في النزاع علامة اليمن الكبير محمد بن اسماعيل الأمير المتوفى [illegible] الذي قارب الشقة بين الفريقين في قصيدة يقول فيها :

[illegible]

وعندي الحكم في التفضيل بينكما [illegible]

[illegible]

أما الجبال فهل للكرم منها عوض [illegible]

[illegible]

أما الرياض وأيام الرياض [illegible]

فكل ارض سوى جناتها عدم

ماشعب بوان والمعمور من حلب

والغوطة [illegible] الشام [illegible]

تشابه الروضة الغناء في صفة

[illegible] على روضها الانواء تنسجم

ان قهقهة الرعد ابكى السحب فانسكبت

فالسحب منسجم والروض مبتسم

وقــد تــرافصت الاغصـــان ان عبـــرت

اليهـــا النسيم التي تشتـــاقهـــا النسم

وان تغنت بهـــا الأطيـــار قلت غـــدا

اسحـــاق في الــدوح والالحـــان والنغم

أمـــا التهـــائم والأحســـا وطيبـــة لا

زالت على سـوحهـا الـوفـاد تـزدحم

والبصرة البصـرة المعمـور سـاحتهـا

بـالمـد والجـزر يـاتيهـا وينهـزم

فـالنخـل أفضـل من كـرم بسـاحتهـا

بـــــلانـــزاع فهـــذا الحكم منبـــرم

ولاشك ان هذا أثر في الأدب وازهر لنتاجا جليلاً مشرقاً ظهر في عدة نماذج لعل ابرزها فن المقامات وقد اوردنا منه قطعا في كتابنا (مجموع المقامات اليمنيه) فانظره هناك .

ولايكون استيعاب هـذا البحث حتى نجلوا بقيـة مـلامـح تلـك النصوص الشعريه في هذا المجال ، وكنا قد اتينا بنماذج منها في كتابنا الادب اليمني عصر خروج العثمانيين ص ١٦١ - ١٩٠ ولاباس ان نقف هنا عند شيء منها هنا فيما يناسب المقام ولابرح ادباء صنعاء يثنون على مدينتهم في معرض المفاخرة لها ببلاد التهائم وهذا الاديب العلامة صلاح بن الحسين الأخفش المتوفى سنة ١١٤٢ يقول :

قد قيل صنعاء جنة لجنان

فكم خصال قد حوت حسان

يقصر عنها الوصف من حسان

ابن البيان حاضر المعاني

حديقة لزهارها تضاحكت

وجنة لجنة المأوى حكت

محروسة محمية من النكت

فعين من يسكنها ما ان بكت

يامن فيها من اليها قد لجا

سفينة يركب فيها من نجا الخ

والأديب المؤرخ احمد بن صالح بن ابي الرجال المتوفي سنة ١٠٩٢ يقول في مدح الروضه (من منتزهات صنعاء) .

روضة قد صبا لها الصفد شوقا

وصفا ليلها وطاب المقيل

جوها سجسج وفيها نسيم

كل غصن الى لقاه يميل

صح سكانها جميعاً من اللظى [illegible]

[illegible] النسيم فيها عليل

أيه ياماء نهرها العذب صلصل [illegible]

[illegible] يا زلال منك الصليل

أيه يا ورقها المرنة [illegible]

[illegible] حياة النفوس منك الهديل

روض صنعاء فقت طبعاً ووصفاً [illegible]

[illegible] فكثير الثنا فيك قليل

وعلى رأي ابن ابي الرجال في الحماس للروضه وبهجتها زعيم هذا الفن من الشعر في الأدب اليمني الأديب العلامة عبد الله بن علي الوزير المتوفى سنة ١١٤٧ يقول :

مايعدل الروضة الغنا وبهجتها

سوى الجنان فلا تنقص ولاتزد

فنونها نعمة للناظري وفي

أفنانها نغمة للطائر الغرد

أقمارها عانقت أغصانها جذلاً

فصافحتها أقمارها يد بيد

والفوح يحمل في أرجا ساحتها ...

... مجامر الند في الحارات والسدد

والنهر يمشي الهوينا في مخارفها ...

... كأنه ملك يمشي مشى مقتصد

يسقى قوارير كرم للبياض بدا ...

كلؤلؤ بين منثور ومنتضد ...

ورازقيا تغيد في كف لابسه ...

كأنه ذهب في كف منتقد ...

لا أخطر الروضة الغناء في فكري ...

الاودارت جنان الخلد في خلدي ...

وقد ذكر المؤرخ بن عبد الله الجوثي المتوفى سنة ١٢٢١ في الحديث عن أبناء الجبال انهم لم يزل يختلفوا في التفضيل بين بئر العزب والروضة وبعد اجماعهم على تفضيل هواء بئر العزب وطيب عنب الروضة اختلفوا في الترجيح بين الهواء والعنب فرجح المولى عبد الله بن علي الوزير طيب العنب، ورجح القاضي علي بن محمد العنسي لطف الهواء ...

فكان الأديب علي بن محمد بن العنسي ممن لا يستحسن الروضة ويفضل عليها بئر العزب يقول:

لم يطب في الروضة الغناء سوى ...

... كرمها لا ... هواها فكي ...

وبغــــربي لزال نــــزهـــة

جـوّهـا يستـرقص القلب طـرب

طلـــق الهم بهـــا سكـــانهـــا

فلهـــذا سميت بنـــر العـــزب

ويقول في تفضيل البنر ايضاً :

وبالغرب من صنعاء سقى الله سفحها

وبـاكـرهـا صـوب الحيـا المتـدفـق

حدائق روض جـوهـا يبعث الهـوى

ويفعـــل فعـــل البـــابلي المعتـــق

منـــــاخ لأفـــــراح وانس لأنفس

ولهـــو لمشتـــاق وروح لضيـــق

الى اخرها :

وكانت بداية هـذا الأدب عنـد أهل القـرنين الحادي عشر والثـاني عشر تعود الى القرن العاشر زمن نصناً هذا الذي بين أيدينا ، وكـان فـاتـح هـذا الفن في القرن العلامة ابراهيم بن محمد بن علي الوزير المتوفى سنة ٩١٤ في مقامته المنظرية التي يشيد فيها بنزة صنعاء ومفارجها وقد أنطلق كل محلة بمحاسنها على لسانها فهذه شعوب تقول :

روضى نـــزهـــة عين لقـــــوى وضعيف

وصغير وكبير ووضيـــع وشـــريف

وحمـامي سـاجعـات — فـوق اغصـان قطـوف
كم تمشت في مـروجي — من رشـاق القـدهيف
في سـروب ومـروط — وبـرود وشفـوف
ورعت عيني رقيبـاً — من أليف لأليف
في زمـان زال فيـه — كـل ذي كيـد مخـوف
رب يـوم في شعـوب — لم يكـدِّر بصـروف
طلب فيه الشرب واللهو — مـع سـرب عكـوف
ومحب زاد حبـاً — كمنـا من بعـد خـوف
وبعيـد الـدار عن — لعبابـه صـافـا فصوف

ويقول على لسان الجراف :

جنـة الـدنيـا ريـاضي — ومـروجي وغيـاضي
و «سـوادي» و «بيـاضي» — ليس يلقى في البيـاض
حبـذا جنـاتي الخضـر — وأمـواه حيـاضي
وعـوان في ربـوعي — ذات أجفـان مـراض
ونهـود كـالعـوالي — وعيـون كـالمـراض
وعلى زنـار صنعـاء — نـافـذا حكمي ومـاضي

الى غير ذلك

ولما كثر الانتصار للجبال ومروجها وطيب هوائها لم نجد من يتصدّى للرد على الأدباء في تلك المناطق حتى جاء العلامة المورخ عبد الرحمن بن علي ابن الديبع المتوفى سنة ٩٤٤ ﻫ انبرى للدفاع عن تهامة والسهول ومحاسن السكنى بها ، وهو مؤرخ وعالم لم يكن فن الأدب من نصيبه ولكنه لما لم يجد من يقف في وجوه الأدباء أهل الجبال قام بالامر بنفسه وهاهي قصيدته الفريده نثبتها هنا لاهمية

موضوعها ... يقول مفتخراً ابن ... [illegible]

لسكن زبيد تجد ما تشتهي فيها

... الذي ... [illegible]

زبيد لا شك عندي أنها خلقت

... من جنة الخلد ... [illegible]

وجعلوها النخيل التي ... [illegible]

ولا يشابه معنى من معانيها

... لكنها ... [illegible]

وليس شيء من البلدان يشبهها

... سيدنا

محمد قد دعا قدماً لواديها

وليلها طيب فيما رواه لنا (م)

الشيخان عن طيب الأخلاق زاكيها

ولو ... لن ... [illegible]

... رحم الباري محييها

كأنها جنة في الأرض قد أمنت

... يجلي ... إليها من نواحيها

ونخلهـا يشبـه الغـادات [illegible]

[illegible] حلية ذو العرش مبديها

وان تـرد علمـاء الـدين [illegible]

[illegible] منهم علمـاً وتفقيهـا

بهـا الاشـاعـر لاقلت [illegible]

[illegible] الصلـوات الخمس يحييهـا

وجـامـع قـد زهـا اقطـا [illegible]

[illegible] المساجـد من اقطـارهـا تيهـا

احيـاه مـالكنـا بعـد [illegible]

[illegible] السنـة البيضـا بـاليهـا

العـادل الظـافـر الميمـون [illegible]

[illegible] قـد انقـادت نـواحيهـا

ومن بـه امنت كـل [illegible]

[illegible] عنهـا مسـاويهـا

لازاد بـالله محـروسـاً [illegible]

[illegible] الاقـدار يجـريهـا

[illegible] لاهم يغشى قلب [illegible]

[illegible] والله يكفيهـا

ينـــال كـــل امـــرء مـــايشتهيـــه بهـــا

وينجلي هم من امسى يـــــدانيهـــــا

من قـــاس ارض زبيـــد بـــالجبـــال فقـــد

اخطـــا الصـــواب ولم يـــدرك معـــانيهـــا

لايـــارك الله في سكنى الجبـــال فمـــا

لـــذى تهـــامـــة يـــومـــاً راحـــة فيهـــا

ســـوى الجبـــال التي في فضلهـــا وردت

اخبـــار خبـــر عن المختـــار نـــرويهـــا

امـــا تعـــز التي من فـــوقهـــا صبـــر

فـــلا سقى ربنـــا بـــالغيث نـــاديهـــا

فيهـــا صنـــوف من البلـــوى منـــوعـــة

مـــالي الخـــلائـــق من بـــالعـــد يحصيهـــا

من قمـــل وكتـــاب في مســـالكهـــا

لايتـــركـــان دمـــاً في جسم اهليهـــا

وعســـرة وعقـــاب في مســـالكهـــا

بهـــا يعـــاقب من يـــاصـــاح يـــاتيهـــا

وثقـــل مـــاء من الاحجـــار عنصـــره

ذى قســـوة القلـــوب النـــاس بهـــديهـــا

فعـــدعنهـــا ولاتبـــغ المقـــلم

واسكن زبيـــد تنـــل كل المنى فيهـــا

وما كانت القصيدة تنتشر بين أنباء الجبال من أهل تعز وصنعاء حتى اقامتهم واقعدتهم ويثور عليها جماعة من الأنباء كان من آثار ثورتهم هذا الكتاب الذي بين يديك وقبله - فيما اظن - الاديب احمد بن عبد الله عزوى الصنعانى الذي ذكره المؤرخ صالح بن ابي الرجال في مطلع البدور ، وأوردله قصيدة في الانتصار لتعز والرد على ابن الديبع يقول فيها :

خفف على النفس من اشيـــاء تخفيهـــا

فما ارتجالك نظم الشعر يشفيها

فـــانت من غيضـــك المكـــروه في تعب

فـــالله يطفئـــه والله يطفيهـــا

لم تبلـــغ الشم طـــولا يـــابنى ولم

تخرق برجلك ارضا انت ماشيهـا

مـــاكنت تنظم الا انهـــا ارتفعت

على بـــلادك فخـــرا فهي تعنيهـا

ان البقـــاع لذا ا قـــام الـــوهـــاد لـــه

بهجـــة اصبحت زوراً دعـــاويهـــا

فالارض من قبل قد كانت تمور على

البحر المحيط بها لولا رواسيها

فهل اتاك بها بالسبق شاهدة

فانظر الى نصبها اذ كنت قاريها

والبيض من ريدان والاكليل في حيل

مبداه يتفق بين الان ان كنت قاريها

لو شاد شداد في ارجائها أرم

ماكنت تنظرها بالخسف تمويها

وكان يحصب من ارض الخصيب فلا

سقى المهيمن بالامطار ناديها

وكان غمدان او غيمان قد عمرا

فيها فيا حبذا أرضا تسميها

هل كان في ارضكم قطر يماثلها

فجئت في الدعوى تقويها

الى ان يقول

جبال علم على سم الجبال كسوى

من المفاخر مالا الرمل يحصيها

لــــو لم يكن لجبـــال الارض مفخـــرة

الا تعــز لقــال النــاس يكفيهــا

ارض كساهـا الـرضـا من ربنـا حلــلاً

مطــرزات بــديعــات حــواشيهــا

الفخــر نــاسجهـا والعــز نــاشـرهـا

والسعــد ملحمهـا والمجـد مسـديهـا

والأرض ان سعـدت بـالارض لو شقيت

فـــالله مسعـــدهـــا والله مشقيهـــا

هـــذا تعــز فقـــل لي مـــاذممت بهـــا

أحسن شـــادنهـــا لم حسن شـــاديهـــا

ومنها :

أمـــا يــروقـــك ان الـــزهـــر مبتسم

بين الثمـــار التي طـــابت لجـــانيهـــا

وروضــــة جمعت من كـــــل مختلف

الالـــوان اعيت قـــوافي النظم منشيهـــا

غصـونهـا الخضـر قـد مـالت على كثب

قـــامـات غـــزلانهـا بـــاللين تحكيهـــا

كأن أيدي الغمام الجون ترشفها

من كاس خمر الحيا ريا ويسقيها

والياسمين على النسرين تنشرة

مر الرياح على الأغصان أيديها

والطل تناثر منثور ومنتظم

لا لا لم تك الأصداف تبقيها

والطير تسجع في اغصانه طربا

كأن قس عكاظ خاطب فيها

والنهر منهمر كالشهد من صبر

وحكمة الله في الاضداد تجريها

جدول كالأفاعي السود في صبب

تطاردت فهي تحكي جود مجريها

لها صليل كحلي الغانيات اذا

امسن يداعبها بالكاس معطيها

تسقى حدائق غلبا كل فاكهة

فيها دنا يانعا للقطف دانيها

والريح في لجج الغدران ناسجة

سوابغا لم يكن داود يصغيها

والنــــرجس الغض أعيــــان مكحلــــة

مفتحـــات على الجـــاني مـــآقيهـــا

والنـوفـر اصفـر ممـا فيــه من حـرق

فـــالمـــاء ينفثهـــا نفثـــاً ويـــرقيهـــا

والفـــل ثمت تخفيــــه لثتــــه

لـــتضـــوع نشـــر المســـك من فيهـــا

و للسفـــرجـــل والـــرمـــان منظـــره

يغـــري القلـــوب ويشهيهـــا ويلهيهـــا

والكـرم قـد فـر منـه النخـل منهـزمـاً

الى تهـــامـــة منـــه الله يقصيهـــا

وللقصـــور اللـــواتي في أزقتهـــا

نـــور بـــه زحـــزحت عنهـــا ديـــاجيهـــا

تـــزهـــو بكـــل فتـــاة طـــرفهـــا غنـــج

تمسى الاعـــارب لا الأحبـــوش تسبيهـــا

من كـــل من عينهـــا نعســـا فـــاتـــره

كـــأن هـــاروت بـــالأسحـــار يعظيهـــا

وكـــل منعطف كـــالغصن قـــامتهـــا

تكـــاد انـــك فـــوق الكف تلـــويهـــا

كـــأن مبسمهـــا في الجيـــد حسن لـــه

والحسن عن ذات حسن الحسن يغنيهـــا

لافـاتك الرشد قل لي مـاالـذي نقصت

عن جنــة الخلـــد اومـــا نقص اهليهـــا

الى آخرهـا ولم يـورد ابن ابي الرجـال غير هـذا على ان من ادبـا القــرن العاشر من ناصر ابن عزوى في نقده لابن الديبع والرد عليـه في تهجمـة على الجبـال ، وكـان منهم الاديب شهـاب الـدين احمـد بن دبيس الـذي اورد لـه صاحب (مرآه المعتبر) قطعة من قصيدته يقول :-

مــرابـــع بـــاللــوى حيـــا انـــاسيهـــا

صوب الغمـام فـانـا لست نـاسيهـا

كم لي تلـــك من شجـــو ومن شجن

ثـــوت بقلبى في اهـات اواليهـــا

مـاللهـوى والغـريب القـاطنين بهـا

أو انس دونهـا يغـدو غـواديهـا

غـــازلننى بعيـــون زانهـــا حـــور

علقن هـاروت سحرٌ امن سواجيها

يقول نو اللب فيها ليت شعري هـل

أودى بها السقم أودب الكرى فيها

نعس حـــواجبهـــا مثــل القسى وان

رمت فلم ينــج عينـــا من مـــراميهـــا

وانْ نظــرت لاوصـــاف قصـــرن لهــــا

بـــالحسن لوذاك جــزء من مغـــانيهـــا

هيف القـــدود كـــاغصــــان على كثب

أعـــرن اقمـــار تـــرقى في أعـــاليهـــا

حمـــر مـــــلابسهـــا ســـود نوائبهـــا

خضـــر مـــواشمهـــا بيض تـــراقيهـــا

اعـــارت الـــورد حسنـــا من مـــوردهـــا

والاقحـــوان جمـــال من اقـــاحيهـــا

متى افـــــوز بـــــورد كنت اقطعــــــه

من الجـــدود التي دبت افـــــاعيهــــا

تلــك الـــربـــوع التي عشنـــا بهـــا أبـــداً

لم يعـط صبا امـانـا من عــواطيهـا

أرض قطعت بها عصــر الشبـــاب فكم

لـذت وطـابت وكم رقت حــواشيهـا

جـاء الـربيـــع عليهـــا وهي عـــاريـــة

فاصبحت وبنفسج السعد كاسيها

فـالظبى في خجـل من خـط شـادنهـا

والـورق في ذهـل من نغم شـاديهـا

كـأنهـا جنـة الـدنيـا وقـد جعلت

منهـا ثمـاراً لمـا تـدنـو لجـانيهـا

زهـورهـا من بكـاء السّحب ضـاحكـة

يظـل نـوفـرهـا يـرنـو لفـاغيهـا

ارض يفيض اليهـا الشهـد من صبـر

ومـايفـارق يجـرى في سـواقيهـا

من لى بـرؤيـة اوطـان يحـل بهـا

جـآذر لم تـزل تحمى مسـاغيهـا

ولم نجد من شارك بعد ذلك في الدفـاع عن الجبـال ومحـاسنهـا حتى ظهر أديبنا العـلامة الأصولي فخر الدين عبد الله بن يحيى شرف الدين صاحب هذه الأرجوزه التي بين أيدينا الآن وقـد ظفـر نـالـه بمقطـوعـة ينتصر فيها لتعز يقول في أولها :

حمى رب الأنـــام لنـــا تعـــزا

وحـق لهـا العــدينــه ان تعــزا

وكان من آثاره واهمها الذي نقوم بتحقيقه وقبل الدخول في الحديث عنه نأتي على ماجاء للمؤلف من ذكر في التاريخ وماقالـه عنه المؤرخون إذ

هو احد اعلام التاريخ في اليمن ومفاخره :

ترجمـة المؤلف

هو عبد الله بن يحيى شرف الدين بن شمس الدين بن الامـام المهـدي احمد بن يحيى المرتضى ، كان من الأفاضل الأجـلاء قال أبو الرجال في مطلـع البدور :

«له في كل علم سـابقـة أولى ويـد طـولى وهـو من الكرم في الـذروة وكـان مـع النسب الشريـف والحسب المنيف متـواضعاً حسن المعـاملـة للمسلمين كـافـة ولاينزل نفسه الشريفة منزلتها التي تقضى بها المقامات والعرفيّات فـانـه يعد من الملوك العلماء ولكنه رأى لباس السلوك أبيض لوجهـه يـوم القيـامـة وانقى ولـه عنـايـة بـالعلوم وكتب مسـائـل وحـرّر تـراجم لكثير من فضـلاء الزيدية» .

وعلى الرغم من معاصرته لوالده الامام شرف الدين وكبر سنـه بـالنّسبـة لبقية اخوته فانه لم يذكر في الأحداث العظام التي قـام بهـا والـده في جهاده للجراكسة والعثمانيين وكأنه خشى النفرة مع اشقائه الذين ساهموا بعمل كبير في الأحـداث وهـو في هـذا على النقيض من أخيـه المطهر الـذي اهتـزت لسلطانه وقـائع التاريخ وكأنه خلق ان يكـون عـالمـاً بـاحثـاً جـاهـداً وسعـه في خدمة المتون ودراسة العلم ، وقد ذكر ابن ابي الرجال أنه أراد الاقامة بمكة المكرمه ، فوقعت له مكدرات من قبل الاتراك وبعض مـراجعـات من علمـاء مكة فعـاد بقضه وقضيضـه الى «الـوعيلـه» من بـلاد الشرف ومخـلاف بني ملان .

ومن اخبـاره في البحث والعلم انـه ذكـر في شـرحـه على نظـام الغـريب «رطبان واد في حجه ، قال فيه واد فيه حنشان احدهما أسود والآخر أبيض

يخرجان في فصل من فصول السنة على الاستمرار من مدة قدرها اربعمائه سنة من الهجرة النبوية فاذا كان الاسود من فوق الأبيض كانت السنة ال الجدب وان كان الأبيض فوق الاسود فالخصب أغلب ويتمسح الناس بهما ولاينفران من أحد وحديثهما عجيب» .

ومن شرحه على قصيدة والده قصص الحق «ان السيوف القلعية المشهورة في المغرب منسوبة الى قلعة وادى ظهر وان هناك معدن حديد يقال ان الجن تغلبت عليه ثم كتب على الشرح في الهامش ان أخيه المطهر استخرج المعدن وفعل منه مركتين لفرسين في الغاية لكنه لا يتم الا بمغرم يساوي المغنم .

ومن خبر رحلته الى مكة المكرمة انه لقي عام حجه بعض أهل العراق رحمه الله في الحرم عابداً لا يأكل الا من كسب يده فكان ينسخ بالأجرة وكان يومئذ يكتب لبعض الحنفية كتاباً أحسبه في المقالات » .

وكان يحصل من والده على معاش فحدث ان قطعة عنه سنه ٩٣٧ فكتب اليه :

أيـا والـداً أربى وجـودى بجـوده

و أصلا نما في راس دوحته فرعى

لماتمنعوني الصرف من غير علـه

ومعرفتي قد لازمت مانـع المنـع

وقد انهبت تنوين فضلى اضافـة

مـلازمة للاتصال بـلا دفـع

واني عبـد الله والملـك ملكـه

يصرفنى في النصب والجرو الرفـع

وكان ايلم انقطاع المعلوم عنه قد اخذ دسوتا من النحاس وأجّرها على أهل المهنة بصنعاء الذين يحتاجون ذلك فقامت حاله بذلك وتيسر له الكفاف ، حتى أعاد اليه والده مايجريه عليه وإستغنى عن تاجير الدّسوت ولما عاد من مكة وسكن الوعيلة من بلاد الشرف ومخلاف بنى هلان هنأه الأديب الحسن بن حمزة برسالة منها هذا الأبيات :.

تشعشع نور من جهات المغارب

وذلك من بدر بها غير غارب

فلما بدا منها على غير عادة

خجلنا وقلنا تلك احدى العجائب

فقيل لنا ما ذاك بدر وانه

سناوجه عبد الله لا من كواكب

اتى من جهات الشام من بعد ماقضى

فرائضه في الحج من كل واجب

فخيم بين السادة الغر وانتقى

بلاد بنى هلان بين الاطائب

فأجابه أديبنا بقصيدة يصف فيها ماجرى له في مكة يقول فيها :

ونخبره انا وجدنا بمكة

وساحاتها الغرا نجح المطالب

بها الكفر مقهور بها الحق ظاهر

بها العدل منشور اللوا والذوائب

اقمنا بها ستين يوما كأنها

فراديس جنات الهنا والاطايب

اقمنا بها والمال والأهل والاخا

وفي العز والاكرام من كل جانب

ملوكاً ولخواننا اذا ما لقيتهم

فحاضرهم يغنيك من كل غائب

ولم نرتحل منها ملالاً ولا قلا

ولاصدنا عنها اختلاف المذاهب

ولاخوف غدر الماكرين وَغدرهم

ومن ربه يحميه ليس براهب

ولكنها الأوطان تطلب حقها

وحق أب برّ وحق الاقارب

ولنا من الرحمن نرجوه عودة

وليس الرجا في الله منا بخائب

ومن شعره :

صحا القلب على سلمى وما كاد ان يصحو

وبان له في عذل عاذله النصح

ولاغرو ان يستبين رشاده

وقد بان في ديجور عارضه الصبح

شموس نهار قد تجلت لناظري

واضحت لليل الغى في خلدي تمحو

اذا كان راس المال من عمرى لنقضى

ضياعا فلتيٌ بعده يحصل الربح

شباب تقضى في شباب وغرة

وشيخوخة جاءت على أثر تنحو

توفي بمدينة ثلا سنة ٩٧٣ هـ وعند الشوكاني وفاته سنة ٩٩٣ هـ ومن مولفاته :

١ - شرح نظام الغريب للربعي ·

٢ - مواهب الملك الحق شرح القصص الحق لوالده مخطوط في مجلدين بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء رقم ٢١٢٣ ·

٣ - رياض الافكار ونزهة الابصار في كشف معاني مقدمة الازهار مخطوط بجامع صنعاء (المكتبة الغربية) برقم ٢٧٥ ·

٤ - تلقيح الافكار شرح خطبة الاثمار مخطوط بجامع صنعاء برقم ٤٢٥ فقه ·

٥ - شرح المعيار في اصول الفقه للنجرى ·

٦ - مجلاة عروس السلامه في التقليد والامامة مخطوط بجامع صنعاء برقم ٩٦٧ ·

٧ - كسر الناموس اعترض فيه على كتاب القاموس ·

٨ - كتاب في تراجم فضلاء الزيديه ·



كتابه الدرارى المنسوقات

وهو هذا الذي بين يديك اخترنا له عنوان احد ابوابه الرئيسية لايفائه بموضوع الكتاب والعنوان الذي وجدته على مخطوطات الكتاب هو (الدرارى المنسوقات في بواهر المخلوقات) وهو أرجوزة تقع في ٥٣٠ بيتاً صدرها بابواب تتعلق بالايمان والفطرة وحدوث العالم والاستدلال على وجود الله والنظر في النفس وباب في العدل والتوحيد ثم آخر في البعث والوعدو الوعيد وشكر النعم والنبوات والحكمة والاعتبار بأحوال الأمم الماضية ثم باب في الوعظ والتذكير وآخر في تفضيل المواضع والبقاع وفضل اليمن حتى يصل أخيراً الى الباب الذي عنونا به هذا الكتاب وهو (باب الاشاره الى تفضيل صنعاء على غيرها عقلاً ونقلاً ولزوما وذكر قدمها ونحو ذلك » .

وكأن تلك الفصول السابقة لهذا الباب اراد بها التمهيد للحديث عن صنعاء وفضلها وقد عرفت هذه الارجوزه عند أهل اليمن بانها في مجملها تتعلق بصنعاء وخصائصها ولذا ذكرها المؤرخ أبو الرجال بأنها في ذكر محاسن صنعاء ورياضها، ونظراً لتغليب الكثره من أبيات القصيدة اخترنا الباب الذي يفصح عن موضوع القصد والغرض من الكتاب بأكمله ، ولأنه هكذا مخطوطة الامبروزيانا ٤٥٤ .

وقد اشتهر المؤلف بهذه القصيدة اكثر من غيرها من كتبه الاخرى وتناقلها الأدباء في سابق الأعصر بالاستعراض . . والنقل والاستشهاد وقد نسب صاحب كتاب هدية العارفين ٤٧٢/١ هذه الأرجوزه الى الأديب عبد الله بن احمد الوردسان الشاحذي المتوفي سنه ٩٧٥ ، ثم عاد في نفس الصفحة ونسبها الى مؤلفها الحقيقي علامتنا الأديب عبد الله بن يحيى شرف الدين في ترجمته له ، واذا لم يخطئني التقدير أرى ان كتاب الشاحذي السابق الذكر ماهو الا شرح لأرجوزة الأديب شرف الدين وقد

سقط لفظ شرح من النسخة التي اطلع عليها صاحب كتاب هدية العارفين فتوهم انه تاليف مستقل ويبدو ان المذكور قد وقف على نسخة خطية من كتاب الشاحذى بدليل ذكره لبدايه الأرجوزة في كتابه (ايضاح المكنون) ١/٤٤٢ ٠ وهي :

القول بسم الله في البدايه والعون في الاثناء والنهاية :

وهي نفس بداية ارجوزة الاديب شرف الدين ولا يعدو ان يكون الأمر قد التبس على صاحب هدية العارفين العلامة اسماعيل باشا البابانى ،إذ نسبة الكتاب الى الاديب عبد الله شرف الدين صحيحة لامرية فيها كما تبينه فصول الكتاب الأخيره إلّا ان يكون الشاحذي قد كتب شرح الدّرارى المنسوقات وبدأ مباشرة بالمتن دون ان يضع مقدمة للكتاب و توطئة فجاء البابانى ونقل من بدايه الكتاب كما وجده.فمن هنا ينحل الاشكال وتظهر صحة نسبة الكتاب إلى مؤلفه جليّة والله اعلم، ولا يستبعد ان يكون الشاحذى الوردسانى أحد تلامذة المؤلف لأن المؤرخ أبا الرجال ذكر في ترجمة المذكور انه أحد تلامذة العلامة يحيى بن يحيى المقرانى المتوفى في سنة ٩٩٠ وهو متاخر في الوفاة عن الاديب عبد الله بن يحيى شرف الدين بعدة سنوات ولاشك ان وفاة التلميذ ستكون بعد وفاة الشيخ وبهذا يكون الأديب عبد الله شرف الدين أسبق في الزّمن من الشاحذي من عدة وجوه وتكون نسبة القصيدة اليه صحيحة لأن العادة في الانتحال أن ياتي المتأخر وينتحل مالمتقدم لا العكس ، على ان الأمر لايخلو من لبس اذ ان كثيراً من النساخ من يغلط في نسبة الكتب الى أصحابها وربّما يبلغ ببعضهم التجني والمجازفة ان يجد الكتاب منسوخاً بخط عالم معروف ، او انه مذكور في اخر الكتاب بانه بخط فلان ويجد الناسخ أيضا عنوان الكتاب فارغاً من اسم المؤلف فيجازف بنسبة الكتاب الى ذلك الرجل الذي نسخ الكتاب أولاً ، وهذا يحدث كثيراً كما رأيت من خلال تمرّسى بالمخطوطات ودقائقها ٠

على انه مما يقوى النسبة الى صاحبها الحقيقي الاديب العلامة عبد الله بن يحيى شرف الدين ان كل المخطوطات التي وصلتنا من هذا الكتاب ـ على كثرتها تجمع على نسبة الكتاب الى العلامة شرف الدين ولله الحمد .

ويبقي امامنا في الوريقات القليلة ان نتحدث عن بناء الارجوزة لانسبتها ، فقد كتبت على بحر الرجز الذي يسهل فيه كتابة القصائد المطولات كما فعل أكثر من كتب في هذا الفن وقد جعله من المزدوج الذي تكون فيه قافيه السطر الاول هي نفس قافيه السطر الثاني يقول الدكتور ابراهيم انيس في هذا (وقد وجد بعض شعراء العصر العباسي هذا النظم سهلا يسيراً لايكلفهم مشقة أو عنتا ولاتطغى قوافيه على ماقد يجول في صدورهم من معان وأخيله ويقال أن أول من نظم فيه بشار بن برد وأبو العتاهية ثم تتابع عليه الشعراء وقد وجدوه أليق بنظم القصص الطويله والحكم والأمثال وما أراد نظمه من مسائل العلوم تلك لان الناظم يستطيع ان ينظم منه آلافا من الأبيات دون أن يصيبه جهد أو عنت ودون أن يتعثر في التعبير عن معانيه» .

وقد ادرك الناظم هذه الخصيصة في هذا النوع من القوافي فكتب أرجوزته فيه وقد سهل عليه التعبير وشف عن خلجات نفسه دون جهد وعناء كما قال الدكتور ابراهيم انيس على أن الناظم زاد من قوافي الأرجوزة ان جعلها تلتزم الازدواج في الأربعة الاشطر لا الشطرين أي أن كل بيتين تكون القافيه في أشطرهما موحدة وهذا النوع يعرف عند العروضيين بالمربع وهو ذلك الشعر الذي يقسم فيه الشاعر قصيدته الى أقسام كل قسم منها أربعة أسطر ويراعي الشاعر في هذه الأسطر الأربعة نظاماً ماللقافية .

وقد حسنت عند المؤلف الناظم الطريقه التي سار عليها فجوّد في التعبير عن معانيه التي يريد قولها وسبح في ملكوت الله تارة متأملا مقدسا لعظمة الله في صنعه وأخرى واعظاً زاجرا يخشى عذاب الآخره ، ومرّة لاهيا

متنوقا لجمال الطبيعه ومحاسن الخلق ، وكان نلك نصيب صنعاء حيث وجد المؤلف فيها المجال رحباً واسعاً فخلد بذلك تلك البلاد وروعتها في نظمه الجيد هذا وقد قمنا بغية تحقيق الكتاب بالرجوع الى مخطوطتين احداهما بخط احد علماء آل حابس أهل صعده والأخرى من مخطوطات كوكبان وقد صارت بحوزة الأستاذ العلامة مشرف بن عبد الكريم المحرابي ٠

والمرجو من الله ان يسدد الخطا ويوفقنا الى صالح الاعمال وبالله التوفيق
عبد الله بن محمد الحبشي ـ صنعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

أقـــول بسم الله في البـــدايــــة

والعــون في الأثنــا والنهـــايــة

والحمــــد لله بغير غــــايــــة

وهــو الــذي نسـألــه الهـدايــة

بـــاب
ايمـــان الفطـــرة الخلقيـــة
الـــربـّـــانيـــة

جـل لقـــد أبـــدع فيمـــا صنعـــا

واحكم الصنـــع الـذى قـد ابـدعـاء

لـــوجـــده مبتـــدأ مختـــرعـــا

دالا بـــه فيمـــا أرى واسمعـــا

على اقتـــــدار ربـــــه والعلم

والقصـــد فى احكـــامـــه والحكم

فـاسمـع وأبصـر بحـواس الفهم

تـــرى من الحسنى لـــه كـــل اسم

كـل الـوجـود نـــاطـــق لمن سمـــع

فـــاسمعـــه من منخفض ومـرتفـع

مفـــرقـــا بسمعـــه ومجتمـــع

بقــول سبحــان القــديـر المختــرعْ

بـــــــاب

حـــــــدوث العـــــــالم (١)

أنظــر الى الاحســـان في التـــرتب

ولطفـــه في صنعـــه الغـــريب

يـــريـــك في تـــدبيره العجيب

مـــايـــذهـــل اللب من اللبيب

مثـل ارتبـــاط بعضـــه بـــالبعض

وكـــافتـقـــار رفعـــه للخفض

انظـر سمـــات في السمـــاء والارض

يُفضِ بـــك الأمـــر إلى مـــايفض

(١) اتفق أهل الاسلام قاطبة على حدوث العالم وانه موجود بقدرة الهية أزليه قال الامام يحيى بن حمزة -الأجسام لاتنفك عن مقارنة حوادث لها بداية ومالا ينفك عن مقارنة حوادث لها بداية فهو أبدا احادث .

باب

الايمان بالاستدلال على وجود الصانع تعالى بالنظر في الآفاق والأنفس

واشهد بها شواهد الوجود

لربنا والعدل والتوحيد (٢)

والبعث للموتى من اللحود

وشاهدات الوعد والوعود (٣)

تأمل الخلقة في خلق الشجر

ومابها من كبر ومن صغر

وكاختلاف الشكل طولاً وقصر

واللون والطعم وانواع الثمر

---

(٢) العدل والتوحيد : من أهم مسائل الأصول عند الزيدية وهو ان الله واحد ليس كمثله شي وهو السميع البصير وليس بجسم ولا شبح ولاجثة ولا صورة ليس بذى أبعاض ولاجزاء وجوارح واعضاء لابذى يمين ولا شمال وخلف وأمام الخ لأوصاف التنزيه اما العدل هو العلم بتنزيه الله عن الافعال القبيحة كالظلم والعبث والكذب والاخلال بالواجب كالتمكين لمن كلفه والبيان لمن خاطبه وبمعنى أخر هو مايقتضيه العقل من الحكمة انظر «الصلة بين الزيدية والمعتزله ص ٢١٨» وسيأتي للناظم مزيد تفصيل .

(٣) هي مسائل الآخرة ووجوب التصديق بها عند كل مسلم .

فحـــــامض وعفص (١) ومـــــر

ونو حـــــلاً سخن وقـــــر (٢)

وذا بـــه نفـــع وهـــذا ضـــر

وذا بـــه لـــذا آكليـــه سكـــر

وذا بـــلا ســـوق وذا بســـوق

مختلف السمـــو والبســـوق

ومثلـــة الهبـــوط في العـــروق

يكون في الرسوخ (٤) والمـروق (٥)

فهى لهـا مثـل طنـوب (٦) الخيمـة

فهى بهـــا في الجـــو مستقيمـــة

تـرد صـرع العـاصف العظيمـة

وكم بهـــا من حكمـــة حكيمـــة

كغمسهـــا أصـــولهـــا في أرضهـــا

ونشـرهـا في طـولهـا وعـرضهـا

---

(١) العفص : المرارة والقبض يقال طعام فيه عفوصة أي مرارة وقبض .

(٢) القر : بالضم والتشديد البرد

(٣) البسوق : الارتفاع للشجر ، يقال : بسق النخل ارتفع

(٤) الرسوخ : الثبات .

(٥) مرقت النخلة : تمرق مرقا نفضت حملها بعد الكثرة والمروق الخروج عن الجادة .

(٦) جمع طنب : معروف وهي : حبال طويله تشدبها الخيمه .

قد أحكمت في متنها وقبضها

تنزع أنواع الغذا بعضها (٧)

عروقها قد فتحت أفواها

والأرض لم درورت أثداها .

ترضع منها دائما غذاها

لتغتذى وتستوى قواها

ثمت تهديه الى الاغصان

وما بها من ورق حسان

وصفوه للثمر الالوان

فانظر لتجنى ثمر الايمان

بينا يرى الماء على الارض جرى

ونازلاً بطبعه بين الثرى

تراه وهو صاعدا الى الورى

يسمو من الدوح (٨) الى اعلا الذرى

والماء لايوصف بالصعود

فما الذي أصعده في العود.

---

(٧) مضه : بمعنى مصه بالمهلة .

(٨) الدوح : الشجر الكبير .

أمثـل ذا يخلـو عن المقصـود

في حكمـة الصـدور والـورود

يـوجـد منـه العـود والأغصـانـا

وورقـا تـزينهـا حسـانـا

وزهـراً مختلفـاً ألـوانـا

وثمـرا نغـذوا بـه قـوانـا

باب

النظر في الانفس

فيستحيـــل صفـــوه للنطف
منهـا يكـون الحي بـالصُّنـع الخفى
يقبـل عقـــلا نـــوره لاينطفي
ويـــرتقى في درجـــات الشـــرف
مــا أعجب الانســـان في تـــركيبــه
مـــا ألطف الحكمـــة في تقليبــــه
في حـــالتى شـــاهـــده وغيبــــه
وزمنى شبـــابـــــه وشيبـــــه
وحـــالـــة اليقظـــة والاغفـــاء
وخلـــق البـــذاء والحيــــاء
وصفـــة الإضحـــاك والابكـــا
وعلمــه والجهـــل بـــالأشيـــاء
والنطـــق مـــع آلاتـــه والحس
مـــع الحـــواس وقـــوى للنفس

كـالفكـر والـذكـر وشـان الحـدس

وغير هـــذا من خــــواص الأنس

أنظـــــر إلى الأعضـــــاء والآلات

لاسيمـــا مســـــلك الأقـــوات

مـــاجمعت من بـــاهـــر الآيـــات

مـــع اختـــلاف الـوقت والحـالات

ولنظر الى مـا في الـوجـود قـد كـان

من كـــائن أو عـــدم في الامكـــان

تجده عن حـاجـات (٢) هـذا الانسـان

وكم بـــه من حكمـــة للـــرحمن

وكـــل ذا عن ذلـــك المـــاوجـــد

كمـــا كـــذا في محكم النقـــل ورد

صنع القـدير الواحـد الفـرد الصمـد

لم يتخـــذ صـــاحبـــه ولاولـــد

أوجـــد منـــه الارض والسمـــاء

وبينهن فتـــــق الهـــــواء

(١) الحدس : بالتحريك قال الشريف الجرجاني في تعريفاته : هو سرعة انتقال الذهن من المبادى الى الطلب ويقابله الفكر ، وهو أدنى مراتب الكشف وعند أهل اللغة حدس يحدس حدساً ظن وخمن .

(٢) أى الأمور المحتاج اليها الانسان في حياته الدنيا .

واوجــــد الجمــــاد والأحيــــاء

وبـثّـــر الآبـــاء والأبنـــاء

فــالمــاء منـــه كـــون الأحجـــارا

والتـــرب أيضـــا والهـــوا والنـــارا

طـــوره سبحــــانـــــه أطــــوارا

فكـــان في أشجـــاره أثمـــارا

و قـــد يكـــون المـــاء ذاك دهنـــا

صبغـــاً ودهنـــا ان أردت دهنـــا

وقـــــد يصير لبنـــا وسمنـــا

قـــد علم الاقصى بـــذا والأدنى

ولن تصّيره غـــــذا (١) مصبـــاح

يصـــر ضيـــاء يمـــلأ النـــواحي

وكـــر لتجنى ثمـــر الفـــلاح

ولخـــرج من الليـــل الى الصبـــاح

وكلهـــا مختلف غــــذاؤهـــا

وأرضهـــا واحـــده ومـــاؤهـــا

ومنهمـــا دواؤهـــاوداؤهـــا

ومنهمـــا الامـــرار أو احـــلاؤهـــا

---

(١) يعنى وقوداً

باب

العدل والتوحيد

أليس هـــذا صنـــع ذي اقتـــدار

وعـــالم مـــدبّـــر مختـــار

عـــدل حكيم واحـــد جبـــار

حي غني دائم قهـــــــــــار

بلى وربي مـــالهـــذا انكـــار

ولا النهى في مثـــل هـــذا تحتـــار

وكم وكم من آيـــة في الاقطـــار

تهدي الى الحق صحيح الانظـــار

يكفيك ماتلقـــاه من خلـــق الـــورق

من باهر الصنـــع العجيب المتسـق

كم حكمـــة شـــاهـــدة لمن خلـــق

بأن ذا مـــا كـــان كيفـمـــا اتفـــق

(٢) هنا انكار لمذهب الصدفة عند بعض الفلاسفة والملاحدة .

أنظر بها عروقها مبثوثة

في طولها وعرضها مبعوثة

واسمع لنطق صنعها حديثه

ولاتكن عهودها منكوثه

تخالفت في غلظ ودقة

وافترقت كثافة ورقة

وكل شيء ماتعدى حقه

لله ما أبدعها من خلقة

أنظر الى تداخل العروق

فيها من الغليض والدقيق

والنسج ذاك الغامض الدقيق

يغنيك في العلم عن التدقيق

صغيرها في كلها قد انتشر

مثل عروق الحيوان والبشر

يجرى بها غذاؤها على قدر

أمثل ذا يوجد ممن ماشعر

وبالكبار يستقيم شكلها

ويستقيم علوها وسفلها

ويستبين عــــرضهـــا وطـــولهـــا

ويستمـــــد فـــــرعهـــا وأصلهـــا

أنظــر الى مجــرد النســج فقـــط

هل يقـــدر الخلـــق على ذاك النمـــط

او يقـــــدرون لن يخطـــوه بخـــط

والله لن يقـــووا على ذلـــك قـــط

باب

البعث والوعد والوعيد

واشهـد بهـا دلائـل الفنـاء

والبعث بعـد المـوت للأحيـاء

وشـاهـدات الخـوف والـرجـاء

في الـري(١) والانوا (٢) والاتـواء(٣)

في كـل عـام مـوتـه تمـر

حينـا بـه عسـر وحينـاً يسـر

وعـودة من بعـدهـا ونشـر

يبـرز مـا كـانت بـه تسـر

---

(١) الري : حسن الحال

(٢) نوى البقل : نبل

(٣) الاتواء : الهلاك

باب
اقتضاء النعمة والشكر

تـــاتيــك بـــالازهـــار في اكمـــامهـــا

وتحمـــل الاثمـــار فـــوق هـــامهـــا

يـــانعمـــة يـــرغب في دوامهـــا

وليس الا الشكـــر في تمـــامهـــا

وشكـــرهـــا الفكـــر بـــالاعتبـــار

في علم منشيهـا القـديم البـارى(١)

بمـــا بهـــا للصنـــع من آثـــار

في النفس والافـــاق والأقطـــار

فكـل ذرات الـوجـود نـاطقـة

شـاهـدة صـادقـة مصـدقـة

ان لهـــذا الخلـــق ربـــاً خلقـــه

منـــزهـــاً عن كـــل نقص خلقـــه

فكـر تفـز بـالفـوز قبـل الهلـك

في ملكـــوت خلقـــه والملـــك

---

(١) في البيت زحاف

بمن جـرت الفــلاكـه كـالفلــك

تــرى اليقين نــافيــا للشــك

من في السمـاء قــدر الأبــراجـا

والأرض فيهـا فجـج الفجـاجـا

أنــزل مــاء فــوقهـا ثجـاجـا

فحملت حبــاتهــا أزواجــا

باب

وجوب شكر المنعم

أقـــر كـــل العـــالم المشهـــود

بـالعجـز في الايجـاد والـوجـود

وبـامتنـــان الصـــانـــع المعبـــود

بـالخلـق والابقـا بمحض الجـود

اذ كلهـــا يـــرغب في البقـــاء

وينفـــر الكـــل عن الفنـــاء

وهـــذه مبـــادى النعمـــاء

دع عنـك مـا في سـائـر الاشيـاء

فمن يـــرى تـــواتـــرات النعم

عليـــه وهـــو كـــامـــل ذو حلم

طـالبـه العقـل بشكـر المنعم

وطـوعـه فـانظـر بحـق تعلم

باب
النبوات

لكن هـذا المنعم الجليلا

أعجز علم حقه العقولا

انكان كل فعلنا قليلا

في حقه محقراً ذليلا

فيلزم الحيرة في عرفان ما

يفعله لشكره اذ لزما

وقد علمنا ان ذاك المنعما

عدل حكيم عالم فلنعلما

بأنه في ذاك لن يهملنا

بل لن يسامحنا به أعلمنا

وان يشأ اداؤه فهمنا

ودلنا على الذي أهمنا

فلم يكن بد من الاخبار

كيف يكون شكرنا للباري

حفظـــاً لتكميــــل النعيم الجـــــار

من الغنى القـــــادر المختـــــار

ومنتف شفـــاهنـــا بـــالقـــول(١)

فمن هنـــا نعلم بـــالعقـــول

بـــأنـــه لابـــد من رســـول

مخـــالف في الـــوصف والمفعول .

---

(١) لقوله تعالى «وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب» وحول بعث الأنبياء يقول الامام يحيى بن حمزة ان الله تعالى اذا علم ان فعل المكلف ما اذا تمسك به كان اقرب الى فعل الواجبات العقلية وابعد عن المقبحات العقلية ولم يكن في قوى العقول الوصول الى معرفة ذلك وتفاصيله فحينئذ يتعين من جهة الحكمة ان يبعث اليهم رسولا يعرفهم ذلك مواظبة على المصلحة وازاحة للعلة .

اما مسألة الكلام فهي من المسائل العويصة المختلف حولها يقول الامام يحيى اجمع اهل القبلة على وصف الله تعالى متكلما فالمعتزلة فتذهب الى ان المعنى بكونه متكلما خلقه الاحرف والاصوات في جسم واما الاشعرية فزعموا ان كلام الله تعالى صفة حقيقية مغايرة لهذه الاحرف (أنظر كتاب المعالم الدينية للامام يحيى بن حمزة) .

باب

من حضر وقت النبي صلى الله عليه واله وسلم

فيطلب المــرســل حتى يجــده
ويستبين حـــالــه من وجــده

ويطلب الــدليــل حتى يشهــده
من فعــل من ارسلــه واوجــده

باب

من تاخر زمنه عن النبي صلى الله عليه واله وسلم

وان يكن نبيــــه تقــــدمــــه

استــوثــق الاخبــار حتى يعلمــه

وامتثـــل الامــر لـــه وسلمــــه

ودان بـالـدين الـذي قـد الـزمـه

ولازم الشكــــــــــر لمن اولاه

والــذكــر لا يغفــل عن مــولاه

والفكــر في الآيـــة لا مــــاهـــو

وقـــــــول لا الــــــــه الا الله

باب

الحكمة في الاعراض والمنافع والاشارة والموعظة الحسنة

ففتش الحكمـــــة في الأفـــــاق

وكيف لطف صنعـــه الخـــلاق

في الاجتمـــاع أو في الافتـــراق

وأكثـــر مـــايفنى فكيف البـــاقي

وفي اختـــلاف الصبـــح والمســـاء

ومـــا من الارض الى السمـــاء

من ريحهـــا والسحب والانـــواء[1]

وجـــوهـــا وتـــربهـــا والمـــاء

والشمس والنجـــوم والاقمـــار

وحكمـــة التـــاثير والأثـــار

---

(١) الانواء : المطر يقولون (صدق النو) اذا كان فيه مطر ولم يخلف وقيل معنى النور سقوط نجم من المنازل الى المغرب وطلوع رقيبه وهو نجم يقابله من ساعته في المشرق في كل ليلة ثلاثه عشر يوماً وهكذا كل نجم منها الى انقضاء السنة ماخلا الجبهة فان لها أربعة عشر يوماً وانما سمى نوءا لانه اذا سقط الغارب ناء الطالع اى نهض وطلع وذلك الطلوع هو النوء ، وفي قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من أمر الجاهلية الطعن في الانسب والنياحة والأنواء ، قال ابن الأثير : وانما غلط النبى صلى الله عليه وسلم في أمر الأنواء لأن العرب كانت تنسب المطر اليها فاما من جعل المطر من فعل الله واراد بقوله «مطرنا بنؤ كذا» اي في وقت وهو هذا النؤ الفلانى فان ذلك جائز أي ان الله قد أجرى

تــراه صنـــع قـــادر مختـــار

قـــد كـــور الليـــل على النهـــار

هـــذا سبيـل للهدى والايمـان

فـاسلـك بـه اثـر جليـل الـرحمن

حيث اراه ملكـــــوت الاكـــــون

فـاتبعـه كى تحظى ببـرد الايمـان

العادة بأن يأتي المطر في هذه الاوقات . انظر النهاية ٥/١٢٢ .

(٢) التبابعة جمع تبع وهم ملوك اليمن سمو بذلك لأنه يتبع بعضهم كلما هلك واحد قام مقامهآخر تابعاً له على مثل سيرته. انظر لسان العرب .

بـاب

الاعتبـار في أحـوال الأمم المـاضيـة وتقلب أحـوالهم في فنائهم وزوالهم

ثم اعتبـــر فيمن مضى من قبـــل

وكيف كـــان عـــزهم والـــذل

وأين حلـــوا ثم لين حلـــوا

وكيف حـــالـــوا وال م انحلـــوا

وكيف عقبى من طغى ومن ظلم

وحسن مبـــدا المهتـــدى والمختم

تـــراه في البـــاقي وفي مـــاضى الأمم

في نعم هـــــذا وذاك في النقم

أين الملـــوك والـــذي قـــد ملكـــوا

مـــا اصحبـــوا منـــه ومـــاذا تـــركـــوا

ابقـــوه فينـــا عبـــرة وهلكـــوا

ومسلـــك الاعقـــاب حيث سلكـــوا

بيـــوتهم على العـــروش خـــاويـــه

أو جههم بين الـــرغـــام ثـــاويـــه

استقبلوا الاعمال تلك الماضيه

في جنة او في جحيم حاميه

أين ملوك حمير التتابعة

والفرس والروم الحراص الجامعيه

واين ارباب الحصون المانعه

كل مضى فردا وخلا مامعه

أين الذين جمعوا الأموالا

وطولوا في العمر الآمالا

ولا الذي ظنوه قد توالى

ثم تولوا وغدوا أمثالا

الموت مضمار(١) لكل حيٍّ

يمضى على الفقير والغنى

وانما الحيوة مثل الفيئ

لست بشيء وهى مثل الشيء

لكنها مزرعة للآخرة

فلك (٢) بنا الى التقا ماخرة(٣)

---

(١) المضمار : في اللغة الغاية في السباق للفرس وأيضا ، الموضع تضمر فيه .

(٢) فلك : بضم الفاء وتسكين اللون السفينة يونث ويذكر وللواحد والجمع .

(٣) مخرت السفينة تمخر مخرا ومخوراً جرت تشق الماء مع صوت أو استقبلت الريح في جريها .

ومـــرتقى ل الجنـــان الفـــاخـــرة

أو مهبـــط الى السعير الســـاهـــرة (٤)

اخـــره مـــاقـــدم لا مـــاخـــلّا

وهـــو معنى بـــالـــذى أخـــلّا (٥)

مـــرتهن بكـــل مـــاقـــد غـــلّا (٦)

في عنقـــه قـــد جعلـــوه غـــلا

ويـــل لـــذي عقـــل وهـــو لاينفعـــه

وعلمـــه عن غيـــه لاينـــزعـــه

يـــدري بمـــا فيـــه الـــردى فيتبعـــه

بـــاع الـــذى يبقى بفـــان طمعـــه

لاخير في علم لمن لم يعمـــــــل

أو عمـــل من غير مـــا علم جلي

ولا بعقـــــــل وبفهم مؤمـــــــل

الشـــان في علم زكي بـــالعمـــل

(٤) الساهرة : قيل وجه الارض وقيل الساهرة الفلاة وقيل هى أرض يجددها الله يوم القيامة (انظر لسان العرب ٢٨٣/٤

(٥) أخل بالشيء : قصر فيه .

(٦) من الغلول وهو الخيانة في المغنم والسرقة من الغنيمة قبل القسمة وكل من خان في شيء خفيه فقد غل وسميت غلولا لأن الايدي فيها مغلولة : اى ممنوعه مجعول فيها غل وهو الحديد التي تجمع يد الأسير الى عنقه قلت أحاديث الغلول في الغنيمه كثيرة أنظرها في كتب السيرة .

فــــاز الــــذي فكــــر في دنيــــاه

لم يتخـــــذ آلهــــه هــــواه

بــل ســار فيمــا يــرتضي مــولاه

من لا إلــــه أبــــداً إلا هــــو

وواظب الصلــوة في الجمــاعــه

واتبــع السنـــة والجمــاعــه

وعتــرة المختــار ذي الشفــاعــه

ولازم القــرآن كــل ســاعــه

قــد علم الحــق ومــاتعــامى

وعــرف الحــلال والحــرامــا

ولازم الصلــوة والصيــامــا

وقــام يحيي ليلــه أونــامــا

واجتنب الفحشــا من الأفعــال

وهــاجــر الهجــر (١) من المقــال

---

(١) الهجر : بضم الهاء واسكان الجيم : الفحش ومنه قوله صلى الله عليه وسلم «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولاتقولوا هجراً» أي فحشا يقال أهجر في منطقه يهجر إهجاراً اذا أفحش وكذلك اذا اكثر الكلام فيما لاينبغي والاسم الهجر بالضم وهجر يهجر هجراً بالفتح اذا خلط في كلامه واذا هذى .

وفعــل الــــزاكى من الأعمــــال

وفـــاز بـــالتفصيـــل والاجمـــال

واعتــزل النـــاس لصـــون نفســـه

وكـــان بـــالله كمـــال أنســـه

ويـومـه في الـــدين فـــوق أمســـه

وهكـــذا حتى يـــرى في رمســـه

متبعـــاً لاحمـــــد المختـــــار

مقتـــديـــاً بـــآلـــه الأخيـــار

مجـــانبـــاً لبـــــدع الأشـــــرار

ولا أطيـــل صفـــة الأخيـــار

لـــــو مى لنفسى ان عقلت أولى

وعــزفهــا(٣) عن مغضبـــات المـــولى

وتــرك ســـوف (٤) نيـــة وقـــولاً

ولو (٥) وليت وعسى (٧) ولـولا (٨)

---

(٢) الأولى : اسم تفضيل يقال هو اولى به أي أحق وأجدر مثناه الأوليان جمع الاولون والاوالي والانثى الوليا مثناه الوليبان جمع الولى والوليبات .

(٣) اي عزوفها : والعزف عن الشيء تركه والبعد عنه .

(٤) اي قـولك سوف اعمل هذا غداً وهو التسويف التاخير يقال فلان يقتات السوف اي يعيش بالأماني والتّسويف المطل قال سيبويه : سوف كلمة تنفيس فيما لم يكن بعدُ الاترى انك تقول سوفته اذا قلت له مرة بعد مرة سوف افعل ولايفصل بينها وبين الفعل لانها بمنزله السين في سيفعله(ح) يقول صلى الله عليه واله وسلم «اياك واللو فان اللو من الشيطان » يريد قول المتندم على

فبعث بالتسويف والتعس،

وبعث نفسي لابسي (٩)

ادعى بعبد (١٠) الله كذبا بخس

ولم أزل عبد الهوى ونفسي

وليتنى مع طلبى لهلكى

مسامحاً من مالكي في ملكي

أو ليتنى من شقوتى في شك

لو لا رجائى لطفه في فكي

الفاتت : لو كان كذا لقلت وفعلت ، وكذلك قول المتمنى لان ذلك من الاعتراض على الاقدار يقول ابن الاثير والاصل فيه لو، ساكنة الواو وهو حرف من حروف المعاني يمتنع بها الشيء لامتناع غيره فلذا سمى بها زيد فيها واو أخرى ثم ادغمت وشددت حملا على نظائرها من حروف المعاني .

(٦) ليت : بفتح اللام : كلمة تمن تقول ليتني فعلت كذا أو كذا وهي من الحروف الناصبة تنصب الاسم وترفع الخبر مثل كان واخواتها لانها شابهت الأفعال بقوة ألفاظها واتصال اكثر المضمرات بها وبمعانيها نقول : ليت زيداً ذاهب وحكى النحويون ان بعض الاعراب يستعملها بمنزلة وجدت فيعديها الى مفعولين ويجريها مجرى الافعال فيقول ليت زيداً شاخصاً ومنه قول الشاعر .

ياليت ايام الصبا رواجعا

(٧) عسى : حرف طمع واشفاق وهو من الافعال غير المنصرفه وقال الأزهرى عسى حرف من حروف المقاربه وفيه ترج وطمع قال الجوهرى : لايتصرف لانه وقع بلفظ الماضى لما جاء في الحال تقول عسى زيد أن يخرج وعست فلانه ان تخرج فزيد فاعل عسى وان تخرج مفعولها وهو بمعنى الخروج الا أن خبره لايكون اسماء : قلت عسى عند جمهور النحاة من أخوات كاد ترفع الاسم وتنصب الخبر .

(٨) قلت : لولا تأتى . لى ثلاثه أوجه حرف امتناع لوجود ، وحرف عرض وتخصيص وحرف للتوبيخ والتنديم (أنظر كلام النحويين حولها) .

(٩) لم أجد هذا المثل .

(١٠) يعنى الناظم نفسه .

ليس بـذى عقـل أقـول قطعـاً

من دأبـه الى الهـلاك يسعى

مثلى ابقت مـع انى ادعى

بعبـده ولا أرى لى سمعـا

هل يستحى من ملكل مايدعى لغى

فقيـل عبـد الله تب لم نبـأى(١١)

يـاغفلـة اضـاعت اسمى من يـدى

فصـار من ينـادنى نـادى على

حمـدي أولى بى وشكـرى أحـرى

لنعمتى كى لا تكـون الأخـرى

يـانعمـة اضحت علي كثـرى

اذلي من اسمى مـوقـظ ونكـرى

ونظـري تـواتـر الاحسـان

ولطفـه والبـرمنـذ انشـانى

يطمعني في رحمـة الـرحمن

وستـرشينى وصـلاح شـانى

---

(١١) كذا في الاصل .

ان الـــذى أنـــا منـــه ســـائـــل

يغضب الأيـــرتجيـــه الآمـــل

يعصى وستـــره الجميـــل شـــامـــل

والحفـــظ والبـــر العميم الكـــامـــل

ربي الـــذى ارجـــو لمحـــو اثمى

منبســـط الجـــود وسيـــع الحلم

وهـــو كمـــا قـــال النبى الأمي

أحنى على من أبى وأمي (١)

أوجـــــــدنى أنطقنى علمنى

أقـــدرنى أسمعنى بصّـــرنى

قـــربنى أعـــزنى أكـــرمنى

ســـددنى ســـامحنى أمهلني

عـــرضنى للخلـــد في المقـــامـــة

أهلنى لـــزلفـــة الكـــرامـــة

أعلمنى الهـــلاك والســـلامـــة

أبـــان لي سبحـــانـــه أحكـــامـــة

---

(١) اشارة الى قوله صلى الله عليه واله وسلم «لله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقه بولدها» متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب ، وفي أوله قصة المرأة من السبي اذ وجدت صبياً في السبي فأخذته فألصقته ببطنها فارضعته .

ان شئت أن يكـــون لى مكلمـــاً
قـــرأت قـــرآنـــا بـــه تكلمـــا (٢)

وكنت منـــه مسمعـــاً مفهمـــاً
شـــرفنى سبحـــانـــه وكـــرمـــا

وهكـــــذا ان شئت أن أكلمـــــا
مـــولاى قمت للصلـٰوة محـــرمـــا

بين يـــديـــه ثم خـــاطبت كمـــا
أبـــان لى رســـولـــه وعلمـــا

(٢) اشارة الى الحديث المعروف في هذا الباب .

بـاب

الـزجـر عن الغفلـه والنـدب الى الاعتـزال والاشتغـال باصلاح مافسد من الماضى والحال

يــا أيهــا الـــــلاهي الشبـــاب ولىّ

وانت عن غيــــــك لاتـــــولىّ

ارجـــع الى المـــولى فـــذاك أولى

أولى فــــولى لــــك اولى اولى (٣)

غَبْطت من قـــد سكن التـــرابــا

في قبـــره وولجـــه الحســـابـــا

مـــع ربـــه وسلم العقـــابـــا

ثم استحـــق بعـــد ذا الثـــوابـــا

وهبت نفسى واضعت رشـــــدى

وخنت ربى ونكثت عهـــــــدى

يالهف نفسى واضطرام وجدى(١)

على لـزومى كسر (٢) بيتي وحـدى

(٣) نظر الى قوله تعالى «اولى لك فاولى ثم اولى لك فأولى» .

(١) الوجد : مايصادف القلب ويرد عليه بلا تكلف وتصنع وقيل هو بروق تلمع ثم تخف سريعاً .

(٢) كسر البيت : جانب البيت الجمع أكسار و كسور .

اكفى الانـــــام كلهم من شـــرّى

واكتفى من شـــرّهم والضـــر

ولا اعـــدى من صـــلاح أمـــرى

وجبــر كســرى وشبــاب عمــرى

في غيبّــة الخلــق وقـــول الكـــذب

والمــزح والمـــدح معـــاً والسب

يجبـــر ذا درس كـــــلام ربى

وكتب درس ودرس كتب

أخلــوا بهـــا لأهلهـــا مخـــاطبـــاً

مـذاكـــراً مســامـــراً مـــداعبـــا (٣)

إخـوان صـدق شـاهـداً وغـائبـاً

ولايـــــروح زمنى تجـــــاربـــا

هم جلســـــاء لاتمــــلّ أبــــدا

يـأمنهـا الصّحب لسـانـاً ويـدا

مـوتى ولكن في الحيـوْة سـرمـدا

وغيبـا لايبــرحــون شهــدا

---

(٣) قال الجرجانى في مدح الكتب :

مـــا تطعمت لـــذة العيش حتى صرت في وحدتى لكتبى جليسا

انما الذل في مداخلة النا • س فـدعهـا وكن كـريمـا رئيسـا

نـــاطقـــة لكن لمن قـــرابهـــا

يسمعهـــا بمـــا بـــه يـــرابهـــا

لاتعـــرف الأشيـــا ومـــا ادرابهـــا

تـــرى أمـــامـــا وتـــرى ورابهـــا

مقعـــدهـــا إذا قعـــدت حجـــري(٤)

وان أتـــا استلقيت فـــوق صـــدري

قد شرحت صدري زادت حجرى(٥)

حقـــا وزادت عمـــرهـــا في عمـــرى

عـــاجـــزة تـــوجـــد مـــالم يـــوجـــد

تـــرد لى امســـاً وتـــاتي بغـــد

وتحضـــر المـــاضين لي في مشهـــد

وربمـــا جـــاءت بـــآتي الأبـــد

احمـــل في كمى منهـــا عـــالمـــاً

إنســـا وجنـــاهكمـــا وعلمـــا

وروضـــة غنـــا وارضـــا وسمـــا

تحضـــر لى مـــا ابتغى مِن مَن ومـــا

(٤) الحجر : حضن الانسان وهو مادون ابطه الى الكشح وهو بالفتح والكسر والضم .
(٥) الحجر : بكسر الحاء العقل سمي به لأنه يحجر صاحبه «اى يمنعه» عمالا ينبغي .

سفـرًا بـه مـاشئت من مـرادي

بيـاضـه رقم بـالسّـواد

سطـوره ملئن بـالـرّشـاد

أقمـار علم في دجـا مـداد

ان الكتـاب لاجـلّ الصحب

ان زرتـه قـابلني بـالـرحب

وجـاد في الاقـرا بكـل مخبى

وان هجـرت لم أخف من عتب

بحسن لطف دائمـا يهـديكـنا

وعنـك ينفى الجهـل والتشكيكـا

وان يخبـرك بـوصف فيكـا

فـذكـر حـال من مضى يكفيكـا

رنكـّر أولى الشـر وأهـل الخير

فيهـا يـريني صفتي في غيرى

ومثـل ذا كـاف لغير الغير

مـدحـاً وزجـراً مـزعجـاً للسير

وهكـذا محـاسن الاخـلاق

تخلـوا عن الاعنـاف والنفـاق

في بـذل نصـح لـرضـا الخـلاق

صفـات اربـاب النعيم البـاقي

إني لصحبى غيرهـا لقـال

من أهـل قيـل في الـورى وقـال

من كـاذب او صـادق المقـال

وغير مـايغني من الاقـوال (١)

يـارب وفقني وهب لي صبـراً

ولاتحملني الهي إصـرا (٢)

وتب علي وامـح عنى الـوزرا

واقلب اليـك قلبى المصـبّرا

ونجنى من خـزى يـوم العـرض

في الفعـل والتـرك الـذى لايـرضى

وانظـر الى ضـرى بجـود محض

بجبـر كسـري سننى وفـرضي

سـألت ان يصـرفنى من كـل غي

من بيـديـه ملكـوت كـل شيء

(١) قلت فضل الكتب ومدارستها معروف ومشهور وقد افردناها بمؤلف مستقل هو بعنوان (الكتاب في الحضارة الاسلامية) طبع في الكويت منذ مدة .

(٢) الاصر : في الآية الكريمة العبء الثقيل .

يـاحي يـاقيـوم أحيـا كـل هي

صلى على محمـــد وارض علي

صلى على محمـــد وآلـــه

صلى على الصـادق في مقـالـه

صلى على الـزكي في أفعـالـه

صلى على الطـاهـر في أحـوالـه

صلى على أحمـــد خير الخلـــق

صلى على أحمـد رب(١) الصـدق

صلى على سيـــدنـــا النبي

صلى على نبينـــــا الأمي

صلى على مختـــارك الـــزكي

والآل أهـــل الحلـــق الـــرضى

صلى على الهـــادي لخير الطـــرق

صلى على مـوضـح سبـل الحـق

صلى عليهم ربنـــا وسلمـــا

مشـــرّفـــا معظمـــا مكـــرّمـــا

(١) صاحبه أو مالكه

مـادامت الأرض جميعـاً والسمـاء

وصلى أيضـا بعـد مـاقـد عـدمـا

فـاز الـذي بـالاقتـدا بـه اشتغـل

وتـرك النـاس جميعـاً وانعـزل

. وتـرك الكبـر القبيـح وخمـل

ووحـد الـرحمن قـولاً وعمـل

ولم يـزل مسبحـاً مـوحـدا

منـزهـا لـربّـه ممجـدا

يفتش الأسـرار فيمـا أوجـدا

إنّ بـه عجـائبـاً لن تنفـدا

باب

بيان تفضيل المواضع والبقاع بما فيها من آثار الصنع وبدائع الصنعة وآثار صفات الصانع تقدّس وتمجد

ويعد فالأرض جميعاً والسما
من هاهنا في فضلها كالعلما

فصل بها اجمعها والاعلما
وموضع الامر لمن لم يعلما

باب

فضل اليمن على سائر الارض بما قد ورد فيها من كلام الأنبياء والحكماء (٢)

وقـــد روينـــا عن نبي الـــرحمـــة
احمـــــد خير المـــرسلين أمـــــة

ادلّـــــة مصححـــــات جمّـــــه
يعضـدهـــا اقـــوال أهـــل الحكمـــة

تقضى بفضـــل الأفـــق اليمـــاني
على الـدنى قـــاصيّهـــا والـــداني

،اذ خصّ بـــالحكمـــة والايمـــان
وقـــال منـــه نفس الـــرحمن (١)

وقـــال قـــد أتـــاكم أهـــل اليمن
أرق منكم (٢) قـــال ســـراً وعلن

---

(٢) للعلماء في فضل اليمن تاليفات كثيرة منها كتاب فضل اليمن لاسماعيل بن ابى الصيف المتوفى سنة ٦٠٩ واربعون حديثا في فضل اليمن لمحمد بن عبد الحميد القرشى المصرى ومثله للقطب القسطلاني ، ولابن الديبع والشيرازى والشوكاني وغيرهم .

(١) حديث اني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن أو من جانب اليمن رواه أحمد من حديث ابي هريرة في حديث قال فيه وأجد نفس ربكم من قبل اليمن قال العراقي رجاله ثقات .

(٢) حديث أتاكم أهل اليمن هم الين قلوبا وأرق افئدة الايمان يمان والحكمة يمانية والجفاء والغلظ

وكيف لا والبيت منـــه فــاعلمن(٣)

إذ حـده من طيبــة(٤) الى عــدن(٥)

وذاك تفضيـــل لـــه على الســـوى

فقـــل لمن فضـــل غيراً لا ســـوى

لافضـل مــع دليلنــا ولا استــوى

قــد صـح ذاك عنـد كــل من روى

غلظ القلوب في الفداد من اهل الوبر عند أصول أذناب الابل من ربيعة ومضر) رواه الحميدى عن سفيان عن ابي العلا الحضرمى عن ابي الزناد عن ابي هريرة، قال سفيان انما يعنى بقوله اتاكم اهل تهامه لان مكة يمن وهو قوله الايمان يمان والحكمة يمانية اورد هذا الحديث عبد الرزاق في المصنف ٥٢/١١ واحمد بن حنبل المسند ١١٨/٤ والفتح الكبير وقال متفق عليه وانظر تاريخ صنعاء للرازى بتحقيق الدكتور حسين العمرى ص ٦ ٠

(٣) يقال ان مكة من ارض تهامة وتهامة من ارض اليمن ومن هذا يقال للكعبة يمانية ولهذا سمى ماولى مكة من ارض اليمن واتصل بها التهائم بمكة على هذا التفسير يمانية (انظر لسان العرب ١٣/ ٤٦٤)٠

(٤) طيبة من اسماء مدينة الرسول صلى الله عليه واله وسلم قيل طيبه وطابه سماها به النبي صلى الله عليه واله وسلم ﷺ

قال ابن برى : قال ابن خالويه وهى طيبة وطيبه وطابة والمطيبة والجابرة والمجبورة والحبيبة والمحببة قال الشاعر :

فأصبح ميمونا بطيبة راضيا ٠

قال في اللسان : ولم يذكر الجوهرى من أسمائها سوى طيبه بوزن شيبه ، قال ابن الأثير في الحديث : انه أمر ان تسمى المدينه طيبة وطابة هما من الطيب لان المدينة كان اسمها يثرب والثرب الفساد فنهى ان تسمى به وسماها طابة وطيبة وهما تانيث طيب وطاب بمعنى الطيب قال : وقيل هو من الطيب الطاهر لخلوصها من الشرك وتطهيرها منه ومنه جعلت لي الارض طيبة طهوراً أي نظيفة غير خبيثة ٠

(٥) نسبة الى عدن بن سبأبن يشجب بن يعرب بن قحطان حسب قول الاخباريين والنسابه . وفي اللسان يقال لها عدن ابين انسبت الى ابين رجل من حمير لأنه عدن بها أي أقام . قال الأزهرى وهي بلد على سيف البحر في اقصى بلاد اليمن وفي الحديث ذكر عدن أبين يقول ابن الأثير . هي مدينة معروفة أضيفت الى ابين بوزن أبيض وهو رجل من حمير قلت : هي الان من أشهر البلاد اليمنية بعد صنعاء ٠

باب

الاشاره الى تفضيل صنعا (٦) على غيرها عقلا ونقلا ولزوما ونكر قدمها ونحو ذلك

اختـــاره ســـام(٧) عقيب الغَـــرق

على البـــلاد عنـــد كـــل الفِــرَق

وارتـــاد أيضـــا خير ذاك الأفـــق

فــاختــار صنعـــا من جميــع مـــالقى

وان صنعــــا خيره وأوسطـــــه

وعينـــه بـــلا امتـــرا واغبطـــه

نقطه بيكـــار (٩) حـــواهـــا أوسطـــه

منهـــا خطـــوط فضلـــه ونقطـــه

---

(٦) صنعاء بالمد وانما قصرت في قول الشاعر :

لابد من صنعا وان طال السفر

لضرورة الشعر وهي قصبة اليمن والاضافة اليها صنعانى على غير قياس كما قالوا في النسبة الى حران حرناني والى مانا وعانا منانى وعنانى والنون فيها بدل من الهمزة في صنعاء حكاه سيبويه قال ابن جنى ومن حذاق أصحابنا من يذهب الى أن النون في صنعاني انما هي بدل من الواو التي تبدل من همزة التانيث في النسب وان الأصل صنعاوى وان النون هناك بدل من هذه الواو كما أبدلت الواو من النون في قولك : (من واقد) وان وقفت وقفت ونحو ذلك قال : وكيف تصرفت الحال فالنون بدل من بدل الهمزة قال وانما ذهب من ذهب الى هذا لانه لم يرا لنون بدلت من الهمزة في غير هذا قال : وكان يحتج في قولهم ان نون فعلان بدل من همزة فعلا فيقول : ليس غرضهم هنا البدل الذي هو نحو

فيهــا استقــر المنــزل المبــارك

فهــل لهــا في مثــل ذا مشــارك

وربهــــا لمن بهــــا مبــــارك

مــواتــر إحســـانـــه مــدارك

(نذكــر مــاقيــل ان الله نكــر بــه

صنعــا في كتبــه المنـــزلـــة)

وفضلهـــا على الـــدنى غير خفى

بمــا لهــا من قــدم في الشــرف

ونكـــرهـــا في منـــزلات الصحف

من ربنـــا وانـــه بهـــا حفى

قولهم في ذنب نيب وفي جؤنه جونه وانما يريدون لن النون تعاقب في هذا الموضع الهمزة كما تعاقب لام المعرفة التنوين اي لاتجتمع معه فلما لم تجامعه قيل : انها بدل منه وكذلك النون والهمزة قلت هى لم مدن اليمن وعاصمته التاريخيه وهي في غنى التعريف انظر على سبيل المثال تاريخ صنعاء للرازي وياقوت والمقدسي ٤٢ وهو يصفها بطيب الهواء وغير ذلك يقول مى قصبة نجد اليمن وقد كانت لجل من زبيد وأعمر وكان الاسم لها واما اليوم فقد اختلت . أى في زمنه . غير ان بها مشايخ لم ار بجميع اليمن مثلهم هيأة وعقلاً وثم بلد رحب كثير الفواكة رخيص الاسعار اخبار حسنه وتجارات مفيده اكبر من زبيد ولاتسأل عن طيب الهواء فانه عجب ومع ذلك رفق معف- ٠
ويقول ابن رسته في الاعلاق النفيسة ١٠٥ ط احياء التراث : هي مدينة اليمن . ليس باليمن ، ولا بتهامه ، ولا بالحجاز مدينه اعظم منها ، ولا اكثر اهلا وخيرا ، ولا اشرف أصلا و ولا اطيب طعاما منها ، وهي مدينة جبلية برية . معتدله الهواء يعدل طيب هوائها في جميع السنه ، هواء ربيعياً في السنه اذا اعتدلت وطابت ويفرش الفراش الواحد في مكان فلا يحول من ذلك المكان لحر ولا برد سنين كثيرة وتدرك عندهم الحنطه دفعتين ، والشعير والارز ثلاث دفعات واربعاً . ومن ثمارهم وعنبهم مايدرك في السنه دفعتين ايضاً وهي مدينة كثيرة الاهل . طيبة المنازل بعضها فوق بعض . الا انها مزوقة اكثرها بالجص والاجر والحجارة المهندمه ، فمنها ما اساسها من الجص والاجر وسائرها

حجارة مهندمة حسانوبعض أرضى بنائها الجص والآجر ، وبعضها بالجص ، واكثر سطوحها مفروشة بالحصا لكثرة امطارها ، ولامطارها اوقات معلومة عندهم لذلك لايخطئون ، ويمطرون في شهور الصيف شهرا واحد ، ومن الخريف تمام اربعة اشهر ، ثم تنقطع الامطار عندهم ، فلا يمطرون اصلا الى مثل ذلك الوقت من العام الاخر ، واكثر ابتداء مطرهم في الوقت الذي يمطرون فيه بعيد العصر ، وربما تكون السماء نقية ولا يرى للمطر علامة والناس يُحث بعضهم بعضا على الفراغ من اعمالهم حذر من المطر ، فينشأ السحاب مع فراغهم ، فيمطرون لكثره من وقت العصر الى وقت المغرب ، تنجرف السيل جميع ما يكون فيها من القذى ، ويغسل تلك الكورة بأسرها ويجرى ذلك الماء الى مزارعهم في مجار قد اتخذوها لهذا الامر ، لا يتعطل معه شيء من هذه المياه .

ولم يكن لهم سور في القديم ، وأحدث ذلك بعد فتحه ابن يعفر ملكهم ولمدينتهم شارع يشقها بنصفين ، وينفذ الى واد يجرى فيه السيول ايام المطر في عرض دجلة ، او اقل منها ويسمى السرار وعلى صفتيه قصور مبنيه من الجص والاجر والحجارة ، وعامة هذه القصور للمباغين واليه ايضاً ، سفد فوهة أزقتها وسوقها في ناحية ممليي قبلتها وبعض هذا الشارع ولكل واحد من أزقتها بابان بقصى احدهما الى هذا الشارع ، والاخر الى سور البلد ، ومسجد جامعها بقرب سورها مبني من حجارة وحص وهو مسجد كبير ، ونكر فقهاء تلك الناحية أن هذا المسجد بني بأمر رسول الله صلعم بعهده ، وان في موضع المحراب قبر نبي من الأنبياء ، وكان يعظم ذلك قبل بناء المسجد في المتقدم من أجل ذلك ، وأنه تولى بناءه رجل من أصحاب النبي (صلعم) .

وقبالة المسجد الجامع بالقرب منه على قدر عشر أذرع قلعة أساسها من الصخر ، وهي تعرف بغمدان موضع التبابعة ، بناها سام بن نوح ، ونكر فقهاؤهم أنه أول بناء بني بعد الطوفان ، وسمكها مرتفع جداً ، وقد نقض عامة حواليها ، واستعمل ماخرج منها من الحجارة حتى قال بعضهم انه اكتفى بما خرج منها من الحجارة عن نقل الحجارة اليها من غيرها ، وفي هذه القلعة بئر يستقى منها الماء الى هذه الغاية ، ويقولون انها بئر سام بن نوح ، وفيها بئر أخرى وهي البئر التي وجد فيها قتيل من المسلمين في خلافة عمر ، فاشترك في قتلة سبعة نفر فقتلهم عمر جميعاً به ، وقال : لو تمالى عليه اهل صنعاء لقتلتهم به ، وهذا حديث معروف رواه سعيد بن المسيب عن عمر وغيره عن عمر واذا ارتقى المرقى الباقي من بناء غمدان اشرف على جميع صنعاء ولمساجدها اثنان وعشرون مؤذناً يؤذنون جميعهم في كل صلاة ، أحدهم على أثر الاخر الا في صلاة المغرب خاصة ، ثم يأخذون جميعاً في الاقامة بصوت واحد ، وهم يمشون من المنارة الى الصف ، فاذا انتهوا الى الصف يكونون قد فرغوا من الاقامة وفي كل منزل من منازلهم بئر يستقى منها للشرب ، ويفضل ماء الابار على مياه العيون الجارية عندهم .

ووصف فقيه منهم انه وزن ماءمن آبارهم قليلاً مع مثله من ماء دجلة فوجد ماء البئر أخف من ماء دجله وبقرب كل مسجد من مساجدهم الا القليل منها سقاية فيها ماء للسبيل ومغتسل ومتوضى كل مصهرج ، وفيه طاق كبير قد عقد من حجارة بقرب الجزارين ، ذكر أهلها انه ذبح في هذا الموضع في الزمن الاول ستة عشر نبياً ، وطعامهم البر النقي والعلس ،وهو شبيه بالحنطه الا انه ادق من الحنطة في سنابل لاتشبه سنابل الحنطة عليها قشرتان احديهما قشرة المسنبلة ، والاخرى قشرة مقاربة لقشرة الارز ، فيقشر من قشرته ويطحن ويخبز فيوجد طعمة اطيب من طعم خبز الحنطة

. وعندهم فواكه سرية مثل انواع التفاح والبرقوق وهو المشمش والفرسك انواع وهو الخوخ ، ومن انواع الاجاص ماليس بخراسان ، والكمثري انواع كثيرة ، وعندهم على مازعموا قريب من سبعين لوناً عنب ، وعندهم النخيل في قراها دون قصبتها ، والموز عندهم كثير في كل موضع ، يدرك الموز عندهم في كل اربعين يوماً يقطع ثمرته ، ولا ينقطع القطاف عنهم ابداً وعندهم باقلى رطب ، وقصب سكر ، وجوز ، ولوز ، وفستق ، ورمان ، وتين ، وسفرجل ، وبطيخ حسن غير طيب يؤكل مع السكر ، والقثاء ، وانواع الخضر ، والاترج عندهم كثير كبار حلو الطعم ، والوان الرياحين والورد والياسمين والنرجس والسوسن الوان ، وربما وجد كلها في وقت واحد وعندهم العسل الكثير ، ويفضلون لحم البقر على لحم الضأن السمين يشترى جميع ذلك بسعر واحد ، ومن عندهم يجلب الادم والنعال المشعرة ، والانطاع ، والبرود المرتفعة والمصمت ، والاردية يبلغ الثوب من البرد عندهم خمس مائة دينار ، والوان الفصوص والاواني بقرانية وسعوانية والجزع وانواع الخرز يبلغ الفص من البقراني مائة دينار واكثر . ولهم سوق على حدة ، لايباع فيها الا المزامير قد شدوها حزما ، ونضدوها في حوانيتهم ، ولهم خانات كثيرة ومحال فيها خلق كثير يعملون أواني الجزع وانواع الخرز ، وليس لشيء من مساجدها رحبة الا للمسجد الجامع ووجوههم قوم من نسل سيف بن ذى يزن في غاية السراوة والنبل ، يتقدمون في ذلك وجوه سائر الكور ، وهم قوم يرجعون الى سخاء وكرم ، وللحوم ضأنهم وبقرهم خاصية وذلك انها لاتنضج الا على الجمر والوقود يسخنها ولاينضجها .

وضياعهم اجل ضياع ، واكثرها فاكهة ، واحسنها عمارة ، وهي على ثلاثة اصناف : صنف منها اعذاء . وصنف منها على العيون . وصنف على الابار يستقى منها بالابل والبقر . وصنف وهي اسراها واكثرها قيمة على ماء السد والسد سكر قد اتخذ على فوهة جبال ، قد احاطت بمواضيع تقرب من ضياعهم قد نصبوا على اسافل ذلك السد اقواما يجرون منها المياه في انهار قد احتفروها الى ضياعهم ، وكانت قراهم عشرية قبل ولاية ابن يعفر ، فوظف ابن يعفر بدل ذلك عليهم مائتي الف دينار . ومعاملة اهل البلد بالدنانير المطوقة والدراهم السديسية والفلوس ، فضرب الدرهم ربما ارتفع من الستين الى المائة بدينار ، والفلوس اربعة وعشرون بدرهم ، وزن كل درهم سدس درهم . وعندهم قرع كبار كل قرعه مثل جرة كبيرة يباع بالامنان مقطعا وكل ما كان اكبر كان ارطب ونساؤهم حرائر ، والناس ينتشرون في حوائجهم بالنهار ، ويجتمعون في مجالس الفقهاء وغيرهم بعد العتمة الى وقت يضرب فيه الكوس المنصوب على غمدان ، فيسمع ذلك اهل البلد فمن وجد قبل صوت الكوس لم يتعرض له ومن وجد بعد ذلك خارجا حبس وعوقب، والغالب على عامة اهلها وعلى سائر اليمن التشيع واكثر ايمانهم ان يقولوا وحق امير المؤمنين علي . ورغم ان من صنعاء على ستة فراسخ قلعة لابن يعفر صاحب اليمن تعرف بشبام ، وشبام ليس اليها طريق الا طريق واحد ضيق يرتقى اليها من جبل صعب ، قد نصب عليه قنطرة يعبر اليها بها ، وفيها قصور كثيرة تزيد على خمس مائة ، وقرى كثيرة تزيد على اربعين قرية ، فيها عيون وانهار ومزارع وبساتين ونخل ومواشي لاتحصى كثرة من الابل والدواب وغيرها وفي نفس شبام سوق عظيمة ومسجد جامع كبير ، وهذه القلعة بجميع ما فيها من القرى كانت خاصة لابن يعفر هذا في خاصته وكبار قواده وقراباته ، في هذه القلعة وعساكره نزول على اهلها وفيها مساكن ومرابض تحتمل الوفاً من الرجال والدواب ، وتخترقها عيون كثيرة الماء .

(٧) انظر باب ذكر عمارة سام بن نوح لمدينة صنعاء في تاريخ صنعاء ١٦

(٨) يعنى بعد الطوفان الذي عم البلاد بالغرق

(٩) البيكار : آلة ذات ساقين ترسم الدوائر ويعرف بالبركار معربة من الفارسية ٠

(ذكر ماقيل ان صنعاء محفوظةٌ في الجاهليه والاسلام)

ولنهـــا محفـــوظـــة محـــروســـة

ولاتـــزال ابـــداً مـــانـــوســـه (١)

ولنهـــا على التقى مـــاســـوســـه

محـــاسن معقـــولـــه محســـوســـه

(ذكر جامع صنعاء وقبلته وامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم به)

جـــامعهـــا عينـــه خير الـــرســـل (٢)

في امـــره بـــه معـــاذ بن جبـــل

---

(١) يقول الرازى في تاريخه ٣٢ قال عبد الرحمن بن شروس سمعت وهباً يقول اجتمع أهل اليمن بالجاهليه بتعود (بلبون) يريدون ان يغزوا صنعاء فبيناهم على ذلك اذاً اقبل طائر في منقاره كتاب فالقاه بين أظهرهم فاذا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) من الله تعالى لا أحد سواه من اراد صنعاء بسوء كبه الله على وجه) وقال وهب ان صنعاء لمحفوظةٌ من كل سوء ما أرادها أحد بسوء الاكفى في الجاهليةٌ والاسلام وردّ الله كيده في نحره) أنظر حول هذا الموضوع باب ذكر الرواية ان صنعاء محفوظة في الجاهليه والاسلام من تاريخ صنعاء للرازى ٣٢ ٠

(٢) في رواية تاريخ صنعاء ٧٥ عن عبد الرزاق قال حماد بن سعيد بن رمانة قال أخبرني بعض أشياخي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر وبر بن يحنس الانصارى حين أرسله الى صنعاء والياً عليها فقال : ادعهم الى الايمان فان اطاعوا لك فاشرع الصلاة فان اطاعوا لك بها فمر ببناء مسجد لهم في بستان باذان من الصخرة التي في اصل غمدان واستقبل به اجبل الذي يقال له ضين) ٠

فلما ألقى اليهم وبرهذه الصفه من النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد وقدوم ابان بن سعيد فاسس المسجد على هذه الصفه في بستان باذان) انظر (باب ذكر قدوم وبر بن يحنس الى صنعاء وابتنائه لمسجدها بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم) من تاريخ صنعاء ص ٧٥ ٠

قلت : وحول بناء معاذ لجامع صنعاء خلاف قال في نثر الدر المكنون ٨٠ (كان بعث معاذ الى اليمن سنه عشر قبل حج النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كان اواخر سنة تسع عند منصرفه صلى الله

قبلتنـــة اذ عينت أحــــرى القبـــــل (٣)

ســوى الـــذى صلى بهـــا ومـــا انتقـــل

فكم بهـــا جـــوامـــع جـــوامـــع

ومسجـــد وســـاجـــد وركـــع

وقـــارى ومقـــرى وســـامـــع

وخـــاضـــع وخـــاشـــع وبـــاخـــع (٤)

(ذكر الاشارة الى طيبها واعتدال هوائها ومحاسنها)

أعجب بـــذاك السفـــح من صنعـــاء

مـــابين حـــدين (٥) الى الحمـــراء (٦)

عليه وسلم من غزوة تبوك رواه الواقدى باسناده الى كعب بن مالك وأخرجه ابن سعد في الطبقات عنه ثم حكى ابن سعد انه كان في ربيع الاخر سنة عشر واتفقوا على انه لم يزل على اليمن الى أن قدم في عهد ابى بكر ثم توجه الى الشام فمات بها واختلف هل كان معاذ واليا او قاضياً فجزم ابن عبد البر بالثانى والغسانى بالأول وكان تحته القسم الجبلى من اليمن الى حضرموت ودخل حضرموت وتزوج من كندة - وفي غاية الامانى / ٦٤ في سنة ست من الهجرة بنى مسجد صنعاء بناه فروة بن مسيك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في بستان باذان بين غمدان الى الحجر الململمة التي تحت الطاق عن يسار المستقبل - فيتضح من هذا ان بناء جامع صنعاء كان قبل قدوم معاذ بن جبل والله اعلم .

(٣) في تاريخ صنعاء ٨٥ - لما أفضت الخلافة الى الوليد بن عبد الملك كتب الى أيوب بن يحيى الثقفي بالولاية على صنعاء واليمن وامره ان يزيد في مسجد صنعاء ويبنيه بناء جيداً محكما فبناه أيوب بن يحيى وزاد فيه من نحو قبلته الاولى الى موضع قبلته اليوم وحضر وهب بن منبه ذلك فقال لهم : ان اردتم ان تنصبوا قبلته فاستقبلوا به ضيناء .

(٤) باخع نفسه في العبادة اي مفنيها .

(٥) حدين : موضع من صنعاء من جهة الغرب دخل الآن ضمن العمران .

(٦) الحمراء : تعرف بحمراء العلب قرية في السفح الجنوبي من جبل نقم .

وعصـــر (٧) والـــروضـــه (٨) الغنـــاء

وربـــع سعـــوان (٩) الى الابنـــاء (١٠)

وضلع (١١)وظهرها (١٢) وذهبان (١٣)

والعشة (١٤) القصوى ودرب السلطان (١٥)

الى الوريـد (١٦) ونـواحي رمـــلان (١٧)

وهجـــرة الايمـــان مـــاوى الأيمـــان

مـــرابـــع بـــروضهـــا معـــروشـــه

ســاحـاتهـــا بـــزهـــرهـــا منقـــوشـــة

---

(٧) عصر : بالتحريك كعضد جبل يطل على صنعاء من غربها وتحت الجبل من الجهه الشرقيه قريتا عصر سفلى وعليا .

(٨) الروضه أو روضة حاتم من أشهر ضواحي صنعاء تقع شمال صنعاء بمسافه خمسة كيلو مترات في الطريق الى مطار الرحبة ، معجم البلدان اليمنيه لابراهيم المقحفي . .

(٩) سعوان : واد مشهور بالشمال من صنعاء بمسافة ٨ كيلو مترات يطل عليه جبل نقم من جنوبه

(١٠) الابناء : قرية من وادي السر شرقي صنعاء ناحية بني حشيش .

(١١) ضلع : او ضلاع بلده في الشمال الغربي من صنعاء بمسافة نحو ٨ كيلو مترات وهي من الوديان الخصبه .

(١٢) ظهر : وفي الكتابات ضهر بالضاد وادى يقع في الجهه الغربيه الشماليه من صنعاء بمسافة سبعة كيلو مترات وهو منتزة صنعاء ومخرفها .

(١٣) ذهبان : قرية شمال صنعاء فيما بين ثقبان والجراف وقد اتصلت بصنعاء .

(١٤) العشه : يحقق موضع هذه القرية ولعلها كانت محلة عامرة في زمن المؤلف وهي غير عشة سعار وبالم وغيرهما قلت ورد ذكرها في (مقامة القراط الذهب) ضمن قرى الروضه (انظر كتابنا مجموع المقامات اليمنية ١٤٢ والعشتان بالتثنيه قرية من بني الحارث شمال الروضه لعلها المعنيه هنا والعشه ايضا محله من عزله بني قيس ناحية بني مطر .

(١٥) درب السلطان : من مدينة الروضه يعرف بالدرب .

(١٦) لعلها ريد من قرى سنحان .

(١٧) لم اجدها عندى في مصادر وكذا هجرة الايمان ولعلها احدى الهجر في بني حشيش أو غيرها.

جنـــانهـــا بظلهـــا مـــرشـــوشـــة

معـــروشـــة وغير مـــا معـــروشـــة (١٨)

انهـــارهـــا من حـــولهـــا تجـــارى

مثـــل الثعـــابين بهـــا تبـــارى

اعـــــذب من مص لمى العـــــذارى

عنـــد محب بعـــد حـــب جـــارا (٢٠)

ذكر ما ورد ان صنعاء جنة الجنان وان جنان الدنيا اربع هي جنتها

صنعـــاء جنـــة الجنـــان الأربـــع

في الأرض حكم الشافـــع المشفـــع (١)

فقـــل لمن لم يـــرهـــا اسمـــع وع

واتـــل لـــه او صـــافـــه واسمـــع

(١٨) تلميح الى قوله تعالى ، وهو الذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله ، سورة الانعام الآية ١٤١ .

(١٩) اللمى اسوداد في الشفه يستحسن في الفتاة .

(٢٠) كذا في الأصل بزيادة الف لضرورة الوزن والأصل في ذلك (جار) بدون اشباع .

(١) اشارة الى الحديث الوارد في تاريخ صنعاء للرازى ١٩٢ قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث جنات في الدنيا مرو من خراسان ودمشق من الشام وصنعاء من اليمن وجنة هذه الجنات صنعاء . قلت : لم اجد الرابعة .

اعجب بها احب بها ابهج بها

احسن بها اسمع بها ابصر بها

فـاقت بطيب جـوها وتـربها

وحسن هـانى اكلها وشـربها

دلائل التـوحيـد فيها بـاهـرة

لطـائف الصنعـه فيها ظـاهـرة

نـوافس (٢) الايمـان منها عـاطـرة

فهى على كـل البـلاد فـاخـرة

ذكر وصف بعض مفترجاتها (٣) ومنتزهاتها حرسها الله ببقاء مالكها وأدام عدله وبرد ظله

وقـد تـوسمت جميـع ارضي

من ارض صنعاء طولها والعـرض

لأيها بـالفضـل فيها أقضى

قضـاء حـق للعقـول يـرضى

---

(٢) النوافس هنا جمع نفس وهو النسيم والريح ومنه قوله صلى الله عليه وسلم انى لأ اجد نفس الرحمن من قبل اليمن وهو اسم وضع موضع المصدر الحقيقي من نفس تنفيساً ونفساً اى فرج تفريجاً والمعنى انها تفرج الكروب وتنشر الغيث ، يعنى الريح قلت : لم اجد من جمع نفس بالتحريك على نوافس وانما جمع على انفاس وفي محيط المحيط نوافس جمع نفساء والله اعلم ونوافس عند أهل اليمن بمعنى المتنزهات ونحوها .

(٣) مفترجاتها ومفارجها : جمع مفرج وهو موضع النزهة والبساتين ويطلق في الايام القريبه عند اهل صنعاء على الغرفة الجميلة من المنزل في اعلا طبقات البيت وتسمى ايضاً المنظر .

فما وجدت في البلاد بلدة

لكثر جمعاً ابداً من حدة (٤)

قد اخذت من كل مخض زبدة (٥)

واحرزت لكل شيء عدة

فقلت خذ في صحّة الدليل

فيها من الكثير والقليل

فبرزت في معرض التمثيل

حورا من جناتها تومى لي

---

(٤) حدة : منتزة صنعاء من حازة بنى شهاب في ناحية بني مطر غربي صنعاء بمسافة ٥ كيلو مترات وهي كثيرة الاشجار خاصة البرقوق والخوخ والجوز وفيها غيل يسمى (حميس) وهو الذي عناه العلامة محمد بن ابي بكر الدماميني عند اجتيازه من اليمن الى الهند في اواخر القرن الثامن وزيارته لحده :

ولقد مررت بحدة وحميسها ... همس على ساحاتها يتدفق
بى مثل ما بك يا حميس وانما ... قلبى الى وصل الأحبه اشوق

وفيها يقول الأديب عبد الله بن علي الوزير ، وفيه التّورية :
ولما جئت حدة اكرمتنى ... فكيف أقيم قالت فوق عينى

وفي رأس حدة موضع يسمى (العين) بالقرب منه منبع النهر المذكور كما قال فيها الأديب الوزير :
قالوا حدة في الصباح مسفرة ... ولها نسيم باللطافة ينفرد
والنهر مطرد ليجلوهم من ... فيها فقلت نعم ولقد لايطرد

أنظر مقامة الرباط الذهب وذيلها في كتابنا مجموع المقامات اليمنيه وكذا معجم البلدان للمقحفي ص ١٦١ .

(٥) مخض اللبني بمخضه : استخرج زبده .

تـزهـو بـأنـواع البـرود الخضـر

وبيضها (٦) وحمرها والحمرى (٧)

وســـودهــا وزرقهـــا والصفـــر

مـــدبجــات بصنـــوف الـــزهـــر

من كـــل نـــوع ألبست لبـــوســا

وابـــرزت معقـــولـــه محســـوســا

وزخـرفت مــربعهـــا المـــأنـــوســا

ونـــافت[1] البـــاسـا والعبـــوســا

وهـــدلت ورقهـــا للعـــاطن

وطـــابقت مـــرتفعـــا بـــواطن

ترفـل في المروط (٣) والريـــاط (٤)

قـد فـرشيت من نبتهـا القبـاطي (٥)

---

(٦) من انواع العنب يسمى بيض الحمام لان الحبة منه تشبه في حجمها بيض الحمام .

(٧) العنب الأحمر والحمرى هو مايعرف بالعاصمي تكون حبته كبيرة مستديرة .

(١) نافاه ، منافاة : طارده

(٢) هدلت : اغصان الشجرة تدلت

(٣) جمع مرط كساء من صوف او خز يؤتزر به وربما تلقية المرأة ، على رأسها وتتلفع به .

قال الشاعر :

تساهم ثوباها ففي الدرع رادة وفي المرط لفاوان ردفهما عبل

قوله تساهم : اي تقارع .

(٤) جمع ريطة : كل ملاءة غيرذات لفقين اي قطعتين متضامتين كلها نسج واحد وقطعة واحد[illegible]

ومنه قول الحريرى قد اعتم بريطه واستثفر بفويطه والريطه كل ثوب لين رقيق يشبه الملحفة [illegible]

من عبقـــرى (٦) حسن الــرفـــارف

ونــــاعم من سنـــدس المطـــــارف

وازينت بـــالخضـــر الــــزخـــــارف

وحيت لب اللبيب العـــــــــارف

وبـــرزت مثـــل عـــروس المجـــــلا

غـــانيـــةً بـــالـــزهـــر منهـــا تحـــــلا

في كـــل لــــون كـــل حين تجـــــلا

تبـــارك الصـــانـــع مـــا أجـــلّا

قـــالت خـــذ الشـــواهـــد المفصَّلـــة

معـــدداً دليـــل كـــل مســـالـــة

اجمـــل تـــراهـــا حين ذاك مجملـــة

فصـــل يطبّـــق كـــل شيء مفصلـــه

---

(٥) القباطى : جمع قبطية ثياب كتان بيض رقاق تعمل بمصر وهي منسوبةٌ الى القبط على غير قياس والجمع قباطيّ وقباطي والقبطية قد تضم لانهم يغيرون في النسبه كما قالوا سهيلى ودهرى قال زهير :

ليأتينك منى منطق قذع   باق كما دنَّس القبطيه الودك

قال الليث : لما الزمت الثياب هذا الاسم غيروااللفظ فالانسان قبطى بالكسر والثوب قبطي بالضم قال شمر : القباطي ثياب الى الدقة والرقه والبياض وفي حديث اسامه كساني رسول الله صلى الله عليه وسلم : قبطية القبطيةَ الثوب من ثياب مصر رقيقةً بيضاء وكأنه منسوب الى القبط وفي حديث قتل ابن الحقيق : مادلنا عليه الابياضه في سواد الليل كأنه قبطيةٌ وفي الحديث انه كسا امرأة قبطية فقال : مرها فلتتخذ تحتها غلالة لاتصف حجم عظامها وجمعها القباطي ومنه حديث عمر لاتلبسوا نساءكم القباطى فانه ان لا يشف فانه يصف .

(٦) عبقرى : بسط فيها اصباغ ونقوش وكل شيء جميل يقال له عبقرى نسبه الى عبقر واد باليمن

يـــاحبـــذا حـــدّة من مـــرتبـــع

ومـــابهـــا في روضهـــا المجتمـــع

لمطعم ومنظـــــــر ومسمــــــع

ومنشـــق وملمس فـــاسمـــع و ع

النّوح منهـــا في السمـــاوبـــاسقـــة

لهـــا الى مـــافـــوقهـــا مســـابقـــة

فـــذى لهـــا سبـــق وهـــذى لاحقـــه

وبينهـــا الخـــــلاف والمـــوافقـــه

من مشمش كـــالعســـل المعقـــود

يخجـــل منـــه عسجـــد العقـــود

تخفـــق في الـــربيـــع بـــالبنـــود

وهـــو بـــه مقـــدم الجنـــود

والعنبـــرود ريقـــه بـــرود

تـــودّ ان تشبهـــه النهـــود

من زهـــوه منـــالـــه بعيـــد

وطـــولت في نيلـــه الـــوعـــود

والتـــوت والتفـــاح والاجـــاص

ومشتهى الـــدانى بهـــا والقـــاصى

والعـــام ممـــا يشتهى والخـــاص

حصنتهـــا بســـورة الاخـــــلاص

والكــرم فيهـــا منـــه كـــل نـــوع

والتين مـــع انـــواعـــه الجميـــع

وكلمـــا للصيف والـــــربيـــــع

ليس بمقطـــــوع ولا ممنـــــوع

وارضهـا تـزهـر (١) من فجـاجهـــا

رابيـــــة بـــــالنبت من ازواجهـــا

تبتهـــج الأزواح بـــابتهـــاجهـــا

قـــد عقـــدت زهـــر الـربى لتـاجهـا

سحـــابهـــا من فـــوقهـــا منهمـــر

ونهـــرهـــا من تحتهـــا ينحـــــدر

والـــرّيـــح في نيـــولهـــا تعثـــر

وفي مـــــلا قلبـــانهـــا تصـــدر

قلـــوبهـــا قـــدمـــلأتهـــا السحب

كمـــــا كـــــل قليب (٢) قلب

---

(١) نسخه مشرف عبد الكريم (تهتز)

(٢) البئر القديمه ونحوها

الى القــدود النــاعمــات تصبــوا

ومــلؤهــا فيهــا عليهــا صب

ريــاضهــا يثني على الغمـــام

بنشــرهــا شــذاه في الانــام

في نــور نَــوّر (٣) مسفــر اللثــام

وزهـــر يضحـــك في الأكمـــام

قد أبرزت أفنــانهــا (٤) ولــدانهــا

وعــانقت أغصــانهــا أغصــتهــا

وفتحت أزهــارهــا أعيــانهــا

وكسّــرت عيــونهــا أجفــانهــا

ولــونت خــدودهــا الــورديــة

وَعَصّفَــرت (٥) وجنتهــا النــديــة

والتفعت زرْقــا زمـــرديــــه

واسبلت سجفــاً زبــرجــديــه

وابتسمت من الاقــاح عن يقــق (٦)

وانتسمت عن طيبــات المنتســق

---

(٣) النــور : الزهر الابيض

(٤) جمع فنن : الغصن

(٥) لونتها بالعصفر وهو صبغ ونبت يسمى البهرمان وبزره القرطم الواحدة عصفرة

(٦) يقق : شديد البياض ناصعه .

عـولبقـا تمـلا الفضـا بـالعبـق

تـاتيـك فـوق الـذاريـات في سبـق

وصفقت روائـــــــع الاوراق

واهتـــزت الأغصـــان للتـــلاق

والتف منهـا سـاقهـا بـالسـاق

مـــا احـــوج الغصـــون للعنـــاق

وللنعـــامى بـــالغصـــون ميـــل

يجـــر منهـــا في الـــريـــاض نيـــل

وللنسيم في المـــــروج جـــــول

كـــانهن في الطـــراد خيـــل

كـــانمـــا أغصـــانهـــا قـــدود

وزهـــرهـــا من فـــوقهـــا خـــدود

قـــد نظمت منهـــا لهـــا عقـــود

في مثـــل هـــذا تصـــرف النقـــود

بين تـــدان والتئـــام وعنـــاق

الى التئـــام وافتـــراق وتـــلاق

او إستيـــاق وانثنـــا وسبـــاق

والـريـح تهـديهـا الى ذاك الـوفـاق

فـــارضهـــا من نَـــوّرهـــا ملـــوّنـــه

قـــد اخـــذت من كـــل لـــون احسنــــه

منقـــوشـــة من نـــورهـــا مـــزينـــه

جـــل الـــذى أبـــدع ذاهـــا احسنــــه

ان كــــانت الارض لشيء ذاخــــره

فـــانهـــا هـــذى الـــزهـــور الفـــاخـــرة

تحيـــا بـــريـــاهـــا العظـــام النـــاخـــرة

(لاعيش الا عيش اهل الاخـــره) (١)

تنـــوعت فيهـــا الجنـــان والجنـــا

يجنى بهـــا كـــل لـــذيـــذ المجتنى.

من كـــل لـــون كـــالمنى تلـــونـــا

وأحسن اللـــذات مـــالتـــونـــا

والجـــو طلـــق واضـــح مبتهـــج

يجـــول فيـــه بـــالعبير السجســـج

---

(١) من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ففي صحيح البخاري باب غزوة الخندق (حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا معلويه ابن عمرو حدثنا ابو اسحاق عن حميد سمعت أنساً رضى الله يقول خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ال الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى مابهم من التعب والجوع قال :

اللهم ان العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

من كـــل مسكي الشـــذا يعتلـــج

مختلـــط جميعـــه منـــدمـــج

الـــوقت فيهـــا كلـــه تحيف (٢)

ليس بهـــــا مشتى ولا مصيف

ولا ربيـــع بعـــــده خـــريف

ووقتهـــا بهـــذه مـــوصـــوف

تصبـــوا الى اقطـــارهـــا الجـــوارح

فهي الى افـــاقهـــا طـــوامـــح

غـــاديـــة في روضهـــا ســـوارح

ســـانحـــة في جـــوهـــا ســـوابـــع

اختلفت فيهـــا الـــريـــاح الأربـــع

وفتشت مـــامـــو فيهـــا مـــودع

تفـــرقهـــا طـــوراً وطـــوراً تجمـــع

حتى غـــدت على فنـــاهـــا يجمـــع

تلك الريـــاض مـــانحـــونـــا نحـــوهـــا

الا حمـــدنـــا تـــربهـــا وجـــوهـــا

قـــد استطبنـــا مـــرهـــا وحلـــوهـــا

وقـــد شكـــرنـــا سفلهـــا وعلـــوهـــا

(٢) تحيف في علمية أهل صنعاء بمعنى نفيس او النبيل .

تـــرى بهـــا مـــوكب الطيـــور

في جوها الفضاض (١) كـالسطـور

ملـونـات الـريش كـالــزهـور

رائقـــة البطـــون والظهـــور

مـابين عصفـور بـديــع الصفـر

وعنـــدليب لاعب بـــالفكـــر

لحسن جـــافى صـــوتــه والجهـــر

في كـل سـر بـالسـرور يسـرى

وحبـــذا ســـواجـــع البـــلابـــل

أسجـاعهـا تـذهب بـالبـلابـل (٢)

تحسبهـا مثـل لخفتها البـلابـل (٣)

من غير غـــول للعقـــول غـــائـــل

هـاكـلٌ غصن قــد سمـــا في افقـــه

ملتـــزمـــاً طـــائـــره في عنقـــه (٤)

---

(١) اي متطرقه كالسطور يلى بعضها بعض ٠
(٢) شدة الهم والوساوس
(٣) جمع بلبل وهو عنق الكوز
(٤) اشارة الى قوله تعالى (وكل انسان الزمناه طائره في عنقه)

زاه بحسن ورقـــــة وورقـــــه(٥)

تميلـه الاسجـاع من مطـوقــه (٦)

حمـــــا ثم زيّن بــــــالاطـــــواق

ورق (٧) زهت في خضره الاوراق(٨)

تبـــــدوا من النــــوار (٩) في رواق

غنـــــاؤهــــــا من كـــــل داءراق

وكم من الغرنـوق (١٠)بـاهي المجتلا

يـروق مـرأى مـدبـراً ومقبـــــلا

وكـــل غـــرنـــوق لمن تــأمُـــــلا

على عـلاً على الغرانيق العـلا (١١)

ومن بهـــا انســـاً يكـــون او جـــان

يـــوبلـــو كـــــان جميعــــاً اذان

(٥) اغصان الاشجار والاول الفضه كأنه زاهيبياض ريشه

(٦) المطوقه : الحمامة ذات الطوق وهو حلي للعنق يحيط به وكل ما استداربشيء جمع اطواق .

(٧) جمع ورقا : الحمامة

(٨) الاشجار او اغصانها

(٩) منبلج الصباح

(١٠) الغرنوق طائر ابيض وقيل هو طائر اسود من طير الماء طويل العنق جاء في حديث ابن عباس : ان جنازته لما اتى به الوادى اقبل طائر ابيض غرنوق كأنه قبطية دخل في نعشه قال فرمقته فلم اره خرج حتى دفن .

(١١) اشارة الى مافي الحديث تلك الغرانيق العلاء قال ابن الأثير هي الأصنام وهي في الاصل المذكور من طير الماء واحدها غرنوق وغرنيق سمي به لبياضه وقيل هو الكركى والغرنوق الشاب الناعم الابيض وكانوا يزعمون ان الاصنام تقربهم من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التي تعلو في السماء وترتفع.

وتشتهى بـــأن تكـــون اعيـــان

وكلــــه دون لتلــــك الالــــوان

يـــاحبـــذا سفـــح خصيبـغـــ د

جنـــانــــه منعمـــات خـــرد

ومـــاؤهـــا من تحتهـــا مطـــرد(١)

وطيرهـــا من فـــوقهـــا يغـــرد

الحـــانهـــا تـــذهب لب المستمـــع

منظـرهـا فيــه الســرور مجتمــع

يصبوا (٢) اليها من رأى ومن سمـع

مـــامثـــل ذامن ربنـــا بـــالممتـع

أعجب بـــوجــــه الـــزمن الـــوسيم

تعــرف فيـــه نضـــرة النعيم (٣)

ومـــــرحبــــاً ببـــــارد النسيم

مهــــديـــــة الشفــــاءللسقيم

---

(١) مطرد : يقال جدول مطرد سريع الجرى والانهار تطرد اي تجرى وفي حديث الاسراء واذا نهران يطردان اي يجريان وهما يفتعلان .

(٢) يقال صبا الى اللهو صبا صُبُوة وصبوة مال الى الفتنة ومنه قول زيد بن ضبه .

الى هند صبا قلبي   وهند مثلها يصبى

وفي الحديث (شاب ليست له صبوة اي ميل الى الهوى

(٣) اقتباس من قوله تعالى (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) من سورة القيامة الآية ٢٢ .

جـامعــة الشمــل من الاغصــان

ســـاعيــــه لهن في التــــداني

تهـدى الشـذا من ذا لهـذا الثـاني

وتجمــع القــاصي بهــذا الــداني

كم خطـرت بين الربى من خطـرات

فحركت منهـا الغصـون النضـرات

فهي لهـا وســاوس (٤) وخطـرات

قلـوبهـا المــلآ بهـا مسطـرات

بــالله يــاذاك النسيم الســارى

مــاقلت للـرّيــاض في الاسحـــار

فـاهتـز من طيب الحـديث الجـارى

وضحكت مبـــاسم الازهـــار

أضعت في كـل البـلاد (٥) عطـرهـا

وســاررتــك فبثثت ســرهــا

لفقت نشـراً اودعتــه زهــرهـا

لقــد اجــدت لفهــا ونشــرهـا

---

(٤) جمع وسواس : حديث النفس يقال وسوست اليه نفسه وسوسة ووسواساً بكسر الواو والوسواس بالفتح الاسم مثل الزلزال والزلزال والوسواس بالكسر المصدر .

(٥) نسخة الاستاذ مشرف (البقاع) .

ملت بهـــا فـــانتبهت رقـــودهـــا

ولنتثــرت من خجــل عقـــودهـــا

من لجـــل ذا تلونت خـــدودهـــا

ولنهصــرت من الحيـــا قـــدودهـــا

اعجبت يـاريح الشمـال والصبـا (٦)

ابـــديت لي من الــريـــاض عجبـــا

فمـــا الــذي اهتــز بـــه تلــك الــربى

فـــابـــرزت ضميرهـــا المحجبـــا

قـــالت (١) فــرَجّت كــربهـــا بــرَوح

يبـــرز كـــل فـــرجـــة مليـــح

وحيثمـــا امـــرت بـــالتلقيـــح

نفخت في فـــروجهـــا من روحى

اتيتهـــا بنفس الـــــرحمن

والــروح والــروح وبــالــريحــان

---

(٦) الصبا : ريح معروفه تقابل الدبور ومهبها المستوى لن تهب من موضع مطلع الشمس اذا لستوى الليل والنهار وقال ابن سيده ؛ الصبا ريح تستقبل البيت قبل لانها تحن الى البيت وقال ابن الاعرابى : مهب الصبا من مطلع الثريا الى بنات نعش ومن تذكرة إلى علي تكون اسما وصفه وتثنيته صبوان وصبيان والجمع صبوات .

(١) الضمير يعود الى ريح الصبا

نشــــر جنـــــان ايمـــــا جنـــــان

فـــردوسهن (٢) هجـــرة الايمـــان(٣)

حملت من شميمهـــــا الــــــذكى (٤)

ونشـــــر طيب روضهـــا الــــزكى

وســــر صـالي جــــوهــــا الحفى (٥)

معنى يحير فطنــــــــــة الــــــــذكي

تلـــك جنـــان ذللت قطـــوفهـــا

تبهــــج قلب كـــل من يطـــوفهـــا

---

(٢) الفردوس اصلها في اللغة البستان قال الفراء هو عربي وقال ابن سيده الفردوس الوادي الخصيب عند العرب كالبستان وهو بلسان الروم البستان والفردوس الروضة قال الزجاج وحقيقته انه البستان الذي يجمع مايكون في البساتين والفردوس حديقه في الجنة وقوله تعالى : الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون قال الزجاج : روى ان الله عز وجل جعل لكل امرء في الجنه بيتاً وفي النار بيتاً فمن عمل عمل أهل الجنة ورث بيته والفردوس اصله رومي عرب وهو البستان كذا جاء في التفسير والعرب تسمى الموضع الذي فيه كرم : فردوساً وقال اهل اللغة الفردوس مذكر وانما انث في قوله تعالى : هم فيها لانه عنى به الجنة وفي الحديث نسألك الفردوس الاعلى واهل الشام يقولون للبساتين الفراديس .

(٣) ذكا الريح : شدتها من طيب او نتن ومسك ذكى وذاك ساطع الرائحه وهو منه ومسك ذكي وذاك وذكيه فمن انث ذهب به الى الرائحه وقال ابو حنان : المسك والعنبر يؤنثان ويذكران قال ابن برى والقول هو ذكي الرائحه وذاكي الرائحه قال قيس بن الخطيم :

كأن القرنفل والزنجبيل وذاكى العبير بجلبابها

(٤) الحفى : المبالغ في الاكرام والبر والمظهر السرور ، وهو هنا ينطبق على الجو المعنى هنا والله اعلم وفي نسخة الاستاذ مشرف عبد الكريم الخفى بالخاء المعجمة .

(٥) اخذه من قوله تعالى (وذللت قطوفها تذليلا) .

تلــونت لــرائــد صنـــوفهـــا

وجـــاءه منــوعـــاً معـــروفهـــا

مـــالجـــراف (٦) لتبـــدأ نظير

الـــروض فيـــه نـــاعم نظير

لطيبـــه تنشـــرح الصـــدور

وربـــه لمن بـــه غفـــور

يلقـــاك بـــالتـــرحيب والتسهيـــل

والبشـر والتـأنيس والتـاهيـل

بمنطـق مستعـذب المقـــولـه

تـــدركـــة مســـامـــع العقـــول

لســـان حـــال واضـــع البيـــان

ابلـــغ ايضـــاحـــا من اللســـان

يجـــل ان يسمـــع بـــالاذان

وانمـــا يسمـــع بـــالاعيـــان

تـرى بهـا بـدائـع البـديـع

في حسن مـراى سجعـه البـديـع (٧)

---

(٦) الجراف : بكسر الجيم وفتح الراء قرية جنوبي الروضه كانت تدخل ضمن صنعاء وهي من المنازه

(٧) البديع : علم من علوم العربيه يعرف به وجوه تحسين الكلام .

في رحلـــة الخـــريف والـــربيـــع

فهـــاك بعضـــا جـــاء بـــالجميـــع

لول مـــا يلقـــاك حسن المطلـــع[8]

وبـــارع الاهـــلال للمطلـــع (٩)

في بهجـــة المنظـــر والمستمـــع

يلقـــاك من كـــل الجهـــات الاربـــع

تجـانست (١) قصـورهـا المشيـدة

شكـــــلاً وحسن عيشـــه رغيـــده

---

(٨) هنا ياتي بلجناس علم البديع .

(٩) هنا براعة الاستهلال : وهو عبارة عن طلوع اهلة المعاني واضحة في استهلالها وانه لايتجلل بجنوب الالفاظ عن مضاجع الرقة الغ عبارة ابن حجه وفي تعريفات الجرجاني هو ان يشير المصنف في ابتدا تاليفه قبل الشروع في المسائل بعبارة تدل على المرتب عليه اجمالاً وهي كون ابتداء الكلام مناسباً للمقصود ويسمى ايضا حسن المطلع .

(١) الجناس : عند اهل البديع تشابه الكلمتين في اللفظ فقط ويسمى بالتجنيس ايضا وهو من المحسنات اللفظية وهو ضربان : احدهما الجناس التام وهو ان يتفق اللفظان في انواع الحروف واعدادها وهيآتها وترتيبها فخرج بقيد انواع الحروف نحو يفرح ويمرح فان الفاء في الاول ليست من نوع الميم في الثاني والجناس المركب ان كان مركبا من كلمة يسمى مرفوا اى مرقعا وان كان مركبا من كلمتين فان اتفق اللفظان في الخط يسمى متشابها كقول الشاعر :

اذا ملـــك لم يكن ذاهبـــه	فـدعـه فـدولتـه ذاهبـه
وان لم يتفقـــا في الخـــط	سمى مفـروقـا كقـول الاخـر
كلكم قـــد اخـــذ الجـــام	ولاجـــام لنـــا
مـــا الـــذي ضـــر مـــديـــر	الجـــام لـــو جـــاملنـــا

والضرب الثاني من الجناس غير التام وهو اربعه اقسام لانه ان اختلف اللفظان في هيئة الحروف فقط يسمى محرفا والحرف المشدد هنا في حكم المخفف لانقلاب اللسان عنه دفعه واحدة ورسمه حرفا واحداً كالمخفف ولهم في ذلك مباحث طويله (انظر كتاب جنان الجناس للصفدي) .

وانتسقت (٢) بيــوتهــا المقصــوده

فهي لحسن النظم كــــــالقصيــــــــده

تــرى بهــا الطبــاق والمقــابلــه (٣)

لكــــل نــــوع كم بهــــا من امثلــــه

كم في الطعــوم عنــد من تــأملــه

واللـــــون والشم من التمثيــــل لــــه

فـــانظـــر الى مـــربعهـــا البهيـــج

وحسن ذاك الـــــروض في المـــــروج

مـــــراً وطعم وشـــــذا اريـــــج (٤)

وفـــوف(٥) الطبـــاق بـــالتـــدبيـــج (٦)

---

(٢) التنسيق : هو ذكر الشيء بصفات متواليه مدحاً كان نحو هو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد او ذما هو الفاجر الفاسق اللعين السارق وعند ابن حجة هو حسن النسق : ان يأتي المتكلم من النثر والشعر متتاليات متلاحمات تلاحماً سليماً مستحسنا مستبهجاً وتكون جملها ومفرداتها دتصلة متوالية إذا افرد منها البيت قام بنفسه واستقل معناه كقول شرف الدين القيرواني .

جـــاور عليـــا ولاتحفـــل بحـــادثـــة. اذا درعت فـــــلا تســـأل عن الأســـل
سل عنـه وانطـق بـه وانظـر اليـه تجـد مـلء المســـامـــع والافـــواه والمقـــل

فالحظ حسن النسق وصحة التركيب فيه واستيعاب هذا التقسيم ووضوح هذا التفسير .

(٣) الطباق والمقابلة : هو الجمع بين المتضادين مع مراعاة التقابل فلا يجى باسم مع فعل ولا بفعل مع اسم نحو فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً .

(٤) الاريج : الريح الطيبة وجمعها الارائج انشد ابن الاعرابي .

كان ريحاً من خزامى عالج او ريح مسك مسك طيب الارائج

(٥) للتفويق : عند البديعيين : وهو ان يأتي الشاعر في البيت بجمل مستويه في المقادير او متقاربة

الكــــرم فيهـــا منـــه كـــل جنس

حـــــاو للــــــذات الحـــــواس الخمس (٧)

فيــــه الحــــواس جمعت كــــالحس

جمــــع الكـــــلام (٨) كلمــــا في النفس

وصـــانــع البـــايــــع هـــذا رازقي (٩)

تــوريـــة(١٠)فـــاسمـــع لقـــول فـــائــق

يــــا اهــــل صنعـــــاء انتم من رازقي

في نعمـــــة تمتعـــــوا بـــــالــــــرازقي

فمن الاول قول الشيخ عمر بن الفارض :

وهم هم صدوا دنو ودنوا جفوا   غدروا وفوا هجروا رثوا لضناني

ومن الثانيه قول الاخر :

وان شكلياتي عليه خويلة   يقصر عنها ان شكوت بياني

فدم وابق واسلم واسم وارق الى العلى   بجد معين لايكد معان

(٦) التدبيج : ان ينكر المتكلم الوانا يقصد بها التوجيه والكناية وقد اجتمعا في قول الحريرى : حتى رش. في العدو والازرق فحبذا الموت فانه اراد بالازرق الشديد العداوة وهو المعنى البعيد وروى عنه بما فيه لون الزرقه وهي المعنى القريب وكفى بالموت الاحمر عن القتل .

(٧) الحواس الخمس : المشاعر الخمس : السمع والبصر والشم والذوق واللمس .

(٨) هو الكلام الجامع ان ياتي الشاعر ببيت مشتمل على حكمة أووعظ او غير ذلك من الحقائق التي تجرى مجرى الأمثال ويتمثل الناظم بحكمها أووعظها او بحالة تقتضي اجراء المثل كقول زهير بن أبي سلمى :

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله   على قومه يستغن عنه ويذمم

(٩) الرازقى نوع من أنواع العنب

(١٠) التورية : مصدر ورى وهى ان يطلق لفظ له معنيان أحدهما قريب والأخر بعيد فيراد البعيد منهما (أنظر التلخيص للقزويني ٣٥٩) .

وانظـــر لذا شيت الى الـــرمـــان

يـــاتيـــك بــاليـــاقـــوت والمــرجـــان

في مـــره قـــد جمـــع الضــــدان

وجـــاء بـابهـــام التضـــاد (١١) عـــانى

والمـــر مـــع حــامضـــه والحـــالي

يبـــدي لـــذي الـــذوق بـــلا اشكـــال

الجمـــع والتفـــريـــق (١٢) في الاحـــوال

والعكس (١٣) فـاشكـــر واستمـــع مقـــال

(١١) التضاد : يطلق على معان منها التقابل والتنافي في الجمله وفي بعض الأحوال ومنها الطباق وهو الجمع بين معنيين متضادين نحو أضحك وأبكى وأمات أحيىٰ ويلحق بـه مـايسمى ايهام التضاد وهو الجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنهما بلفظين يتقابل معناهما معنياهما الحقيقيان كقول دعبل الخزاعي :

لاتعجبي ياسلم من رجل ضحك المشيب براسه فبكى .

(١٢) الجمع والتفريق : هو ان يشبة شيئان بشى واحد ثم يفرق بين وجهى المشابهة بينهما كقول الوطواط :

فوجهك كالنار في ضوئها وقلبي كالنار في حرها

فقد شبه وجه الحبيب وقلب نفسه بالنار لكن وجه الشبه في التشبية في الأول الضوء وفي الثاني الحر ، ويشرح ابن حجه الحموى هذا النوع بمزيد ايضاح فيقول هذا النوع من انواع البديع هو أن يجمع الشاعر بين شيئين في حكم واحد ثم يفرق بينهما في ذلك الحكم كقوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فكانه يقول الشمس والقمر كوكبان فهذا نهارى وهذا ليلي فجمع بينهما انهما كوكبان ثم فرق بان هذا يضى منها نهاراً وهذا يضى ليلاً فوقع الفرق في الشيء الذى وقع به الجمع .

(١٣) العكس عند اهل البديع : هو تقديم لفظ من الكلام ثم تاخيره ويقع على وجوه كقوله تعالى تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتُخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي العكس يقول ابن حجه هنا مميز بعلو طباقه وشرف القدرة الالهية ، والعكس نوع رخيص بالنسبة الى مافوقه

امـا الـذي بعكسـه لا يستحيـل (١٤)

فكـــل خــوخ لـــك من ذاكـــا القبيـــل

ونـــابـــع المـــا القـــراح السلسبيـــل

به اكتفت (١٥) عن السيول والوشيل (١٦)

وكم بهـــا فـــواكهـــا حســـــانـــا

من كــــل نـــــوع جمعت الـــــوانـــا

من انواع البديع فهو مستمر على عكسه كقول القائل :

زعموا انى خؤون في الهوى   في الهوى اني خؤون زعموا

(١٤) مالا يستحيل بالانعكاس : هو ان يكون عكس البيت او عكس شطره كطرده وهذا النوع غايته ان يكون رقيق الالفاظ سهل التركيب منسجماً في حالتى النثر والنظم وجاء منه في الكتاب العزيز «كل في فلك» وربك فكبر» الى غير ذلك .

(١٥) الاكتفاء : هو ان ياتي الشاعر ببيت من الشعر وقافيته متعلقه بمحذوف فلم يفتقر الى ذكر المحذوف لدلالة باقي لفظ البيت عليه ويكتفى بما هو معلوم في الذهن فيما يقتضى تمام المعنى وهو نوع ظريف ينقسم الى قسمين قسم يكون بجميع الكلمة وقسم يكون ببعضها والاكتفاء بالبعض أصعب لكنه احلى موقعاً فشاهد الاكتفاء بجمع الكلمة كقول ابن مطروح :

لا انتهى ولا انثنى ولا ارعوى   مادمت في قيد الحياة ولا اذا

فمعلوم ان باقي الكلام ولا اذامت

وشاهد الاكتفاء ببعض الكلمة كقول ابن سناء الملك :

اهوى الغزالة والغزال وانما   نهنهت نفسى عفة وتدينـــا

ولقد كففت عنان عيني جاهداً   حتى اذا أعييت أطلقت العنا

اكتفاء من لفظه عنان وغير ذلك كثير في هذا الباب فانظره في كتب هذا الفن .

(١٦) الوشيل : تصغير وشل ، وهو الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة ولايتصل قطره ولا يكون الا من اعلى الجبل .

تعــديــدهُن (١) أعجــز اللســانـــا

وحصـــرهن فـــوت الامكـــانـــا

كم جمعت وراعت النظيرا (٢)

وكـــدرت مـــاجمعت تكـــريـــرا

فـــانظـــره في مـــربعهـــا منظـــورا

كـــرومهـــا (٣) والـــروض والقصـورا

ومـــا بهـــا (٤) من معجب مليـــح

فهـــو الى الخلـــد من التلميـــح (٥)

---

(١) التعديد : هو عبارة عن ايقاع اسماء منفردة على سياق واحد فان روعى في ذلك ازدواج او مطابقة او تجنيس او مقابلة فذلك الغاية في حسن النسق مثاله قوله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ومن الأمثله الشعريه قول المتنبي :

الخيل والليل والبيداء تعرفني　　　والسيف والرمح والقرطاس والقلم

(٢) مراعات النظير : نوع من أنواع البديع يسمى ايضا التناسب والائتلاف والتوفيق وهو ان يجمع الناظم او الناثر امرًا او ما يناسبه مع الغاء ذكر التضاد لتخرج المطابقه وسواء كانت المناسبة لفظا لمعنى أو لفظًا للفظ او معنى لمعنى اذ القصد جمع شيء الى ما يناسبه من نوعه أو ما يلائمه من احدى الوجوه كقول البحترى في ابل انحلها السير .

كالقسي المعطفات بل الاسهم مبرية بل الأوتار

فانه لما شبه الابل بالقسي واراد ان يكرر التشبيه كان يمكنه ان يشبهها بالعراجين او بنون الخط لان المعنى واحد في الانحناء والدقة ولكنه قصد المناسبه بين الاسهم والاوتار لما تقدم ذكر القسي وانظر التلخيص للقزوينى ٣٥٤ .

(٣) جمع كرم : شجرة العنب واحدتها كرمةٌ ، وقيل الكرمةُ الطاقة الواحدة من الكرم وجمعها كروم كما مر .

(٤) ساقط من (ع) .

(٥) التلميح : هو أن يشير ناظم النوع في بيت او قرينة سجع الى قصة معلومة او نكته مشهورة او بيت حفظ لتواتره او الى مثل سائر يجريه في كلامه على جهة التمثيل وأحسنه وأبلغه ماحصل به

تضمنت بغية[6] كل روح

في الخلد من ريحانها والروح

طاب هواها وصفا واعتدلا

وجوّها في الانجلا لبن جلا

زيادة في المعنى المقصود وسماه قوم التمليح بتقديم الميم كان الناظم اتى في بيته بنكته زادته ملاحة كقول ابن المعتز :

أترى الجيرة الذين تداعوا — عند سير الحبيب وقت الزوال

علموا انني مقيم وقلبي — راحل فيهم أمام الجمال

مثل صاع العزيز في أرحل القو — م لايعلمون مافي الرحال

هذا التمليح فيه اشارة الى قصة يوسف عليه السلام حين جعل الصاع في رحل أخيه ولخوته لم يشعروا بذلك .

(٦) هنا التضمين: يقول المعلم بطرس في محيط المحيط هو مصدر ضمن ويطلق عند أهل العربيه على معان منها ايقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه نحو عينا يشرب بها عباد الله فانه ضمن يشرب معنى يروى ويتلذذ فعداها بالباء أو ضمن الباء معنى من ومنها حصول معنى في لفظ من غير ذكر له باسم هو عبارة عنه كقولك معلوم فانه يوجب انه لابه من عالم ومنها ان يكون مابعد الفاضلة متعلقا بها نحو قوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل وهو يكون في النظم ايضا وذلك ان يتعلق قافية البيت بما بعده على وجه لايستقل بالافادة وهو من اصطلاح أهل العروض ومنه قول النابغة الذبياني :

وهم وردو الجفار على تميم — وهم اصحاب يوم عكاظ اني

شهدت لهم مواطن صادقات — شهدت لهم بصدق الود مني

وهو عيب ولكن ان تعلق ماقبل القافيه او استقلت بالافادة لم يكن ذلك عيباً ومنها ان يأخذ الشاعر شطرا من شعر غيره بلفظه ومعناه فان أصرف معناه عن مراد صاحبه فهو الايداع ، والتضمن في البديع مثاله قول ابن أبي الاصبع :

اذا الوهم ابدى لى لماها وثغرها — تذكرت مابين العذيب وبارق

ويذكرني من قدها ومدامعي — مجرعوالينا ومجرى السوابق

والمصراعان الاخيران للمتنبي ا

تنـزهت (٧) نـزاهـة لن تجهـلا

وارسلت للخلـد فينـا مثـلا (٨)

قد (٩) كملت أنواعها المتممه (١٠)

وكم بهـا من حكمـة محكمـة

---

(٧) النزاهة : نوع غريب وهو هجو في الأصل ولكنه عبارة عن الاتيان بالفاظ فيها معنى الهجو الذي اذا سمعته العذراء في خدرها لاتنفر منه كقوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا ام يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون فان الفاظ الذم المخبر عنها في كلام الآية أتت منزهة عما يقع في غير هذا القسم من الفحش في الهجا والمرض هنا عبارة عن إبطان الكفر ، ومن النزاهه البديعية في قول أبي تمام :

بني فعليله مابالي وبالكم   وفي البلاد مناديح ومضطرب

لجاجة لي فيكم ليس يشبهها   الا لجاجتكم في انكم عـرب

انظر خزانة الأدب لابن حجه ص ٧٧

(٨) لرسال المثل : نوع لطيف في البديع وهو عبارة عن ان يأتي الشاعر في بعض بيت بما يجرى مجرى المثل من حكمة أونعت أو غير ذلك مما يحسن التمثيل به كقوله تعالى : ليس لها من دون الله كاشفة، وكقوله صلى الله عليه واله وسلم البلاء موكل بالمنطق .

(٩) هنا التكميل : وهو ان يأتي المتكلم او الشاعر بمعنى تام من مدح اوذم أو وصف أو غيره من الأغراض الشعرية وفنونها ثم يرى الاقتصار على الوصف بذلك المعنى فقط غير كامل فيأتي بمعنى آخر يزيدة تكميلاً كمن اراد مدح انسان بالشجاعة ثم رأى الاقتصار عليها دون مدحه بالكرم غير كامل فيكمله بذكر الكرم أو البأس دون الحلم وما أشبه ذلك .

(١٠) التتميم : عبارة عن الاتيان في النظم والنثر بكلمة اذا طرحت من الكلام نقص حسنه ومعناه وهو على ضربين ضرب في المعاني وضرب في الالفاظ فالذي في المعاني هو تتميم المعنى والذي في الالفاظ هو تتميم الوزن والمراد هنا تتميم المعنى ويجى للمبالغة والاحتياط كقول طرفة :

فسقى ديارك غير مفسدها   صوب الغمام وديمة تهمى

فقوله غير مفسدها احتراس واحتياط .

كمـا تـرى في الكـرمـة المكـرمـه

تمثيل (١١) احيا العظـام الـرممـه

بينـــا تـــرى اعـــوادهـــا مغبره

يـــابســـه كـــاسفـــه في النظـــره

رايتهـــا رابيـــــه مخضــــــرة

تعــرف فيهـا للنعيم نضـره (١٢)

قد أبرزت قطفا (١٣) عديم الشبـه

نـــــادرةً في وصفـــــه والكنـــــه

يشهى بـــديـــع صنعـــه ويلهى

فـــــلا تشبهــــه فـــانت منهى

وقـــــــولهم نوراً بغير زرر (١٤)

ورازقي مخطف (١٥) الخصـور (١٦)

---

(١١) التمثيل : هو ان يزيد المتكلم معنى فلا يدل عليه بلفظه الموضوع له ولا بلفظ قريب من لفظه وانما يأتي بلفظ هو أبعد من لفظ الارداف يصلح ان يكون مثالاً للفظ المعنى المذكور كقوله تعالى «وقضى الأمر» وهذا التمثيل العظيم في غاية الايجاز والحقيقة أي هلك من قضى هلاكه ونجا من قدرت نجاته .

(١٢) أخذه من قوله تعالى : «تعرف في وجوههم نضرة النعيم» .

(١٣) القطف : العنقود من العنب وغيره جمع قطوف .

(١٤) الزور : العقل

(١٥) يقال مخطف الحشى : منطوية أي لاصق ماخلف الحزم من بطنه .

(١٦) جمع خصر وسط الانسان : وهو هنا أطلقه على حبة العنب .

كـــأنــــه مـــداهن (١٧) البلـــور (١٨)

اشعـــر بـــالنقص بـــلا شعـــور

تشابهت (١٩) اطـرافها في الـوصف

حقـــاً وفي (٢٠) الفتتـــان كــل صنف

وحسن تـاليف (٢١) بـديـع الـوصف

يـــروق خـــال نشـــره واللف (٢٢)

شـــق لهـــا الكـــرم من الاكـــرام

انكـرمت لنـا بـامـــر سـامي (٢٣)

---

(١٧) جمع مدهن : وهو آله الدهن وقارورته وهو أجد ملجاء على مفعل مما يستعمل من الادوات .
(١٨) البلور : صنف من الزجاج وهو أحسن أصنافه واشدها صلابه واجتماعاً واكثرها بياضا وصفاء يضرب به المثل في النقا معرب فبعلس باليونانية وقد يصبغ البلور بالوان الياقوت فيشبه الياقوت .

(١٩) تشابة الاطراف عند أهل البديع : هو أن يعيد الناظم لفظه القافية في أول البيت الذي يليها وهذا النوع كان اسمه التسبيغ ثم أطلق عليه ابن الاصبغ متشابه الاطراف، مثاله قول أبي نواس :

خزيمةُ خير بنى خازم   وخازم خير بني دارم
ودارم خير تميم وما   مثل تميم في بني آدم

(٢٠) الافتتان : هو ان يفتن الشاعر فياتى بفنين متضادين من فنون الشعر في بيت واحد فأكثر مثل النسيب والحماسه والمديح والهجا والهناء والعزاء مثال ذلك قول عنتره في الافتتان (الحماسة والنسيب) .

ان تعد في دونى القناع فانني   طب بأخذ الفارس المستلئم

فأول البيت نسيب وآخره حماسه .
(٢١) حسن الرصف : انظر التنسيق فيما سبق .
(٢٢) اللف والنشر : هو ان تذكر شيئين فصاعداً اما تفصيلاً فتنص على كل واحد منهما واما اجمالاً فتاتي بلفظ واحد يشتمل على متعدد وتفوض الى العقل رد كل واحد الى مايليق ولهم في ذلك مذاهب اخرى انظرها في كتب هذا الفن .
(٢٣) حسن التعليل : هو ان يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي وهو اربعة

واستـــوفت الاقســـام في الانعـــام

ففصلت بـــالمـــذهب الكـــلامى (١)

ومن يقـــل ليس لهـــذا قيمـــه

قـــالت صـــدقت مـــالهـــذى قيمـــه

وصـــدقت في مـــوجب (٢) تكليمـــه

تلـــك اســـاليب لهـــا حكيمـــه

تستغـــرق الحس اذا مـــاخلصت (٣)

لنواقـتـــا في حبهـــا قـــد لخلصت

أضرب لان الصفه اما ثابته قصد بيان علتها او غير ثابته اريد اثباتها والاول اما ان لايظهر لها في العلة علة كقوله :

لم يحك نائلك السحاب وانما　　　　حمت به فصبيبها الرحضاء

أو يظهر لها علة غير المذكوره كقوله :

مـــابه قتل اعاديه ولكن　　　　يتقى اخلاف ماترجو الذئاب

فان قتل الاعداء في العادة لدفع مضرتهم لا لما ذكره والثانيه اما ممكنه كقوله :

ياواشيا حسنت فينا اساءته　　　　نجى حذارك انسانى من الغرق

فان استحسان اساءة الواشى ممكن لكن لما خالف الناس فيه عقبه بان حذاره منه نجى انسانه من الغرق في الدموع .

(أنظر التلخيص للقزوينى ٢٧٥ بشرح البرقوقى) .

(١) المذهب الكلامي عند أهل البديع : هو ان يأتي البليغ على صحة دعواه وابطال دعوى خصمه بحجة قاطعة عقليه تصح نسبتها الى علم الكلام اذ علم الكلام عبارة عن اثبات اصول الدين بالبراهين العقليه القاطعة .

(٢) هنا القول بالموجب وهو نوع من انواع البديع ويقال له اسلوب الحكيم يقول ابن حجة : وللناس فيه عبارات مختلفه منهم من قال : هو أن يخصص الصفة بعد ان كان ظاهرها العموم او يقول بالصفة الموجبه للحكم ولكن يثبتها لغير من اثبتها المتكلم وقال ابن الاصبع هو ان يخاطب المتكلم مخاطباً بكلام فيعمد المخاطب الى كلمة مفردة من كلام المتكلم فيبني عليها من لفظه مايوجب عكس معنى المتكلم وذلك عين القول بالموجب لان حقيقته رد الخصم كلام خصمه من فحوى لفظه .

(٣) هنا حسن التخلص : وهو ان يستطرد الشاعر المتمكن من معنى الى معنى آخر يتعلق بممدوحه

قـــريبـــة النيِّل ترى في الحس قصت

من أجـــل ذا قلنـــا غلت ورخصت

كـــلامهـــا حقيقـــة (٤) مجـــاز (٥)

وبسطهـــا اطنـــابـــه (٦) ايجـــازه (٧)

بيـــانـــه من حسنـــه الغـــازه(٨)

مـــاهـــو الاظـــاهـــر اعجـــازه

وحبـــذا من بـــئر(٩) زيـــد ربـــع

كمـــا يشـــاء نـــاظـــر وسمـــع

كم للســـرور في ربـــاهـــا جمـــع

قضى لهـــا العقـــل بـــذا والسمـــع

بتخلص سهل يختلسه اختلاساً شيقاً دقيق المعنى لايشعر السامع بالانتقال من المعنى الاول الا وقد وقع في الثاني لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما حتى كانهما افرغا في قالب واحد .

(٤) الحقيقه الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح التخاطب والوضع تعيين اللفظ للدلالة على معنى بنفسه فخرج من المجاز لان دلالته بقرينة دون المشترك والقول بدلاله اللفظ لذاته ظاهره فاسد .

(٥) المجاز : مفرد ومركب اما المفرد فهو الكلمة المستعملةً في غير ما وضعت لـه في اصطلاح التخاطب على وجه يصح مع قرينةَ عدم ارادته فلا بد من العلاقةً ليخرج الغلط والكنايه أنظر التلخيص ٢٩٥

(٦) الاطناب : مصدر أطنب ، وهو عند أهل البيان عبارة عن اداء المقصود باكثر من المتعارف .

(٧) الايجاز : هو اداء المقصود بأقل من المتعارف بعكس الاول .

(٨) الالغاز عند اهل البديع ويسمى ايضا المحاجاة والتعمية وهو ان ياتي المتكلم بعدة الفاظ مشتركة من غير ذكر الموصوف وياتي بعبارات يدل ظاهرها على غيره وباطنها عليه .

(٩) بئر زيد : قرية كبيرة من عزله ثمن صرف ناحية بني حشيش قضاء صنعاء (انظر التعداد السكاني ١/١٤٠) .

اقتبست (١٠) من حسنـــه محـــاسنـــا

فحـــركت بحسنهـــا الســـواكنـــا

وابهجت واردهـــا والســـاكنـــا

فهى ســـواه فـــاقت المســـاكنـــا

الطير منهـــا في الغصـــون ســـاجعـــه

تفتن في التـــرجيـــع والمـــراجعـــه

الحـــائمـــن للهمـــوم دافعـــه

وروضـــة (١١) الانـــوار فيـــه ســـاطعـــه

انهـــارهـــا من حـــولهـــا منسجمـــه (١٢)

جنـــانهـــا بعـــذبـــه منتعمـــه

نـــاظـــرة ريـــاضهـــا مبتسمـــه

احسن حسنـــا وسنـــا من مـــدومـــه (١٣)

---

(١٠) هنا الاقتباس : وهو ان يضمن المتكلم كلامه كلمة من آية اواية من آيات القرآن خاصة ٠

(١١) هي روضه حاتم سبق ذكرها وفي نسخة الاستاذ مشرف عبد الكريم (وروضها الانوار) فيكون يقصد به الروض وهو مايعرف اليوم بقرية القابل في الشمال الغربي من صنعاء بمسافة ٧ كيلو مترات ٠

(١٢) الانسجام : هو ماياتى خالياً من التعقيد كانسجام الماء في انحداره وهو يكاد لسهوله تركيبه وعذوبة الفاظه ان يسيل رقة وقد ولع الشعراء بهذا النوع وقد عد اهل البديع هذا النوع بان يكون بعيدا عن التصنع خالياً من الانواع البديعية الا ان ياتي في ضمن السهولة دون قصد ومثال الانسجام قول طرفه في معلقته :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة   على الحر من وقع السهام المهند

(١٣) في (ح) همومه ٠

ازدوجت رياضها المخضرة

وابتهجت أنهارها المفتبرة

كأنها بين الرياض الغرة

قد فارقتها بشعار الخضره

قد فصحت ألفاظها والأقوال

وأرسلت بلاغة كالأمثال

وطابقت مقتضيات الأحوال

وناسبت معنى المقام والحال

في زمن فاق على الأزمان

بطيبه والأمن والإيمان

قد جاد للأنام بالأماني

كأنما هم فيه في الجنان

باب

بيان محل السلطان في صلاح العالم

يعمهم عــــدل ظليــــل الظـــــل

وطيب أمن شـــامـــل للكــــل

وعـــز سلطـــان وسيــــع العـــدل

مـــوفـق في قـــولـــه والفعـــل

ملـــك اصـــاب حكمـــة صبيـــا[1]

وجــاءهم في مهـــده مهـــديـــا

سلس الأنـــام راضيـاً مـــرضيـــا

فلم يكن شيء لـــــه عصيـــــا

---

(١) اقتباس من قوله تعالى «يايحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا» ويحيى هنا تورية بوالده الامام يحيى شرف الدين .

باب

ماينبغي ان يكون عليه السلطان في صلاحه واصلاحه

بـــرّ ابنـــا يـــوقـــر الكبيرا
جـــلالـــه ويـــرحم الصغيرا
كم في الثـــواب قلـــل الكثيرا
وفي العقـــاب يكثـــر العسيرا
فلم يـــزل يعـــدل في الـــرعيـــه
كمـــا لهم يقسم بـــالســـويـــه
فهم بـــه في نعمـــة هنيـــة
وعيشـــة راضيـــة مـــرضيـــة
كفـــاهم الله بـــه شـــر الفتن
وصـــانهم من البـــلاء والمحن
وقـــام فيهم بـــالفـــروض والسنن
حتى غـــدوا من الهـــدى على سنن
وأمّن الأرض من المخـــــوف
وابـــدل المنكـــر بـــالمعـــروف

وفـــاض غيث بـــره المـــألـــوف

في الخلـــق للقـــوي والضعيف

امـــامنـــا يحيى شمس الـــدين (١)

كهف الأنـــــام ملجـــأ المسكين

بـــــه الهـــــدى في حـــــرم أمين

جـــالى ظـــلام الشـــك بـــاليقين

لازال منصـــور اللـــواو الـــرايـــه

في عـــزة تبقى بـــلانهـــايـــه

يهـــدي الأنـــام سبـــل الهـــدايـــه

وينقـــذ الخلـــق من الغـــوايـــه

قـــد كـــان رسم الـــدين لـــولاه انطمس

والحق بـالبـاطـل قـد كـان التبس

فمـذ دجـا ليـل الظـــلام وعبس

جـا مجيء الصبـــح في إثـــر الغلس

فـاعـدم النكـــر بمـــاضي عـــزمـــه

وميـــز الحـــق بنـــور علمـــه

---

(١) هو الامام يحيى بن شمس الدين من الافاضل حكمة من سنة ٩١٢ الى سنة ٩٦٥ سنة وفاته وفي سيرته انظر كتاب السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية للعلامة محمد بن ابراهيم المفضل المتوفى سنة ١٠٨٥هـ.

وقـوم العـرف حكيم حكمـه

وشـرف الـدين واحيـا رسمـه

آراؤه في الهـدي كـا النجـوم

تهـدى الـورى للمنهـج القـويم

وبيضه (١) والسمر (٢) كالرجوم (٣)

لكـل شيطـان عتـا رجيم

حـط الهـدى حـرانـه في داره

وعنـده القى عصـا اسفـاره

فطـاب واستقـر في قـزاره

وأوضـح المشكـل في اسفـاره

فجـده في مجـده عليّ

وكيف لاوجـده علي

نجـاره (٤) المـؤثـل الـزكى

إمـا وصى جـاء او نبي

---

(١) جمع أبيض وهو من القاب للسيف ٠

(٢) جمع أسمر الرمح ٠

(٣) الرجوم : للنجوم التي يرمى بها ٠

(٤) في الاصل بحاره واصلحاه من عندنا ٠

امـام حــق كــرمت عنــاصــرة (٥)

وطهـــرت من رجسهـــا أواصــره

منـــــزه أولــــــه وآخـــــره

قـــد صلحت لـــربـــه سـرائـــره

أنجبـــه المهـــدى (٦) والمطهـــر (٧)

في طـــرفى نسبتـــه ان ذكـــروا

فهم لــــه وهــــو لهم مفتخـــر

بمثلـــــه ومثلهم يفتخــــــر

فـــرع زكــا في أصلـــه الـــزكي

من ســـره الهـــادى (٨) والحمـــزى (٩)

أعيـــان وجـــه النسب الـــوضيّ

النبـــــوي حقـــــاً العلي

(٥) جمع عنصر وهو الاصل قال الشاعر :

تمهجروا وانما تمهجر　　　وهم بنو العبد اللئيم العنصر

قال الازهري العنصر اصل الحسب جاء عن الفصحاء بضم العين ونصب الصاد وقد يجى نحوه من المضموم كثير نحو السنبل (انظر لسان العرب) ٠

(٦) هو الامام المهدى احمد بن يحيى المرتضى المتوفى سنة ٨٤٠ وهو جد الامام شرف الدين الاول ٠

(٧) هو الامام المطهر بن محمد سليمان دعوته سنة ٨٤٠ ووفاته سنة ٨٧٩ وهو جد الامام شرف الدين من جهه الأم لان امه الفاضله دهماء بنت المطهر انظر كتابنا معجم النساء اليمنيات ٠ص٧٥

(٨) من جهة الأب وهو الامام الهادي يحيى بن الحسين المتوفى سنة ٢٩٨ ٠

(٩) من جهة الأم وهو حمزة بن الحسن بن عبد الرحمن ، من أولاد القاسم الرسى ٠

باب

كل النبى صفـــوة الـــرحمن

في خلقـــة من انسهم والجـــان

سفينـــه النجـــاة والأمـــان

قسم الهدى والـذكر قسم ثاني

هم هم قــربى النبى وعتــرتــه

حقـاً واهـل بيتــه ولسـرتــه

وآلـــه وحبلـــه وعـــروتـــه

وحقـه في أمان عرضه وعروتـه

هم قلب هـذا العـالم الانسـاني

وهم محـــل نظـــر الـــرحمن

بيـــوتهم مهـــابـــط القـــرآن

وحبهم عـــلامـــة الايمـــان

وفيهم خـــلافـــه النبـــوة

بـالنقـل والعقـل السـديـد القـوة

ومقتضى العـــادة والمـــروه

ولازم الاخـــا والبنـــوه

فـــــلا يـــزال فيهم خليفــــه

ذو مــرة (١) طــاهــرة عفيفـــه

يجمــع كــل خصلـــة شــريفـــه

كمقتضى الشـــريعــة الحنيفـــه

مـازال منهم في القــرون الغــابــره

طــائفـــه الحــق المبين الطــاهــره

ظــاهــرة على المعــادى قــاهــره

ولاتـــزال أوتــوافى الآخـــره

وعــدهم قــد مـــلأ الآفــاقــا

وهــديهم قــد دمــغ النفــاقــا

وجـودهم قــد اعـدم الامـــلاقــا

وفــاق عـــال فخـــرهم وفـــاقــا

وكـــان في ذا صـــدق قـــول جـــدهم

في وعـــده من ربّـــه ووعـــدهم

بـأن عـرفــان الهـدى من عنـــدهم

وبكثير طيب في عـــــــــــــدهم

---

(١) لقب جبريل والمره تطلق على العقل والاصالة والاحكام والقوة .

بـاب

وكـــــان ذا اشـــــارة لاتخـفى

لمن رمى نـور الهـدى بـالاطفـا

بقتلهم ونفيهم والاعفـــــا

فكـان كـالا ظهـار ذاك الاخفـا

اتم ربى نـوره في سـرجـه

آل النبى والمقيمى حججـه

فمـا تمـادى غـاشم في لججـه

الا أتى الله لهم بفـرجـه

لطفـاً من الله بهـذى الامـه

وحجـة قـائمـة ورحمـه

ليستحـق نعمـة أو نقمـه

بـالعـدل والحكمـة عنـد القسمـه

بـاب

وجوب معرفة السلطان ومنة الله على الخلق به

وغير خـــاف في نوى الاســـــلام

حتم وجـوب دعـوة الإمـام (١)

ومن أبى ذاك من الأنـــــــــام

مـات ممـات عـابـداً الأصنـام

فمن هنـــا حكمـــة ربى اوجبت

وجـــوده وصـــح هــذا وثبت

عقـلا وشـرعـا وهمـا اقـوى ثبت

قـد دلنـا دلالـــة مـاعــزبت

فصل يشير الناظم الى ما من الله به عليه وعلى من في زمنه زادهم الله صلاحا بطول بقاء سلطانهم واشعر فيه بالقصور عن ادراك تلـك النفحـة .

وان من الطــــافــــه الخفيــــه

على الــورى لاسيمـا عليـــه (١)

---

(١) الامام في التراث الاسلامي يطلق على مفهوم الحاكم العلم والسلطان ومنه قول عبد الله ابن المبارك ل.

ولا السلاطين لم تأمن لنا سبل — وكانا أضعفنا نهباً لاقوانا

عــرفــاتــه معــرفــة جليــه

كيــلا نمــوت مــوت جــاهليــه

وأوضــح الأمــر فلم يشتبــه

وقلمــا يخلــو الهــدى عن شبــه

ليبتلى من خلجت في قلبــه

إلا إذا مــــلطف الله بــــه

ومن خفي اللطف والــرحمــه بي

ان امــــامي لم يكن غير أبي

ولنني في عــــد عتــــرة النبى

فضــلا يعــز نيلــه بــالقــرب

لحمــده وحمــ ه من نعمــه

وشكــره من فــائضــات قسمــه

واستــزيــد من مــزيــد كــرمــه

وعصمــة من مــوجبــات نقمــه

أسئلــه من جــوده الجليــل

يشملني بستــره الجميــل

والعفــو في الكثير والقليــل

وهدينــا لاوضــح السبيــل

وسيلتى وسيلـــــة لنتنحســـــا

الا صفيــا النجبــاء الـــرؤســـاء

الخمسـه الاشبــاح أصحــاب الكســا

نفس الـرســول وبنــوه والنســاء

مـــع الـــرســـول المصطفى وآلـــه

المقتفين الطهـــر في احـــوالــــه

في فعلـــه ومقتضى آقـــوالــــه

ما خاب من هم شافعوا سوالـه

فـــاســـال الله الهـــدى لمـــا ارتضى

حتى افــوز من لــديــه بــالــرضى

بحــق آل المصطفى الطهـر الـرضى

استـدفــع الله بهم صــرف القضــا

وأن يــديم ظــل عــدل والـــدي

في أنعم وعـــز مجـــد خــالـــد

يـــدوم في عـــز وجـــد صـــاعـــد

وطيبعيش زمن مســـــاعــــــد

فـــانـــه عصمـــة هـــذي الامـــه

وغــوثهـــا وغيثهـــا والـــرحمـــه

ونعمـــــه دائمــــه للنقمــــه

فــابقــــه يــارب فينــا عصمــه

نــدعــوا ومنــك نطلب الاجــابــه

ثم الصلــوه مــاهمت سحـــابـــه

على النبى الطهــر والقـــرابـــه

ورضى الله عن الصحــــــابــــــه

وهــاهنــا كـــان انتهى مقـــال

في وصف أقـــوال لســان الحـــال

فـــالحمــــد لله على الكمــــال

حمــداً هــو الغــايــة في الكمــال

مع تحيات

★
★
★
★
★
★
★
★
★
★
★
★
★
★
★



مطابع المفضل للأوفست شارع تعز ـ تلفون رقم : ٢٤٥٠٩٣